LJS BIBLIOTHECA SCHOENBERGENSIS
SCHOENBERG DATABASE OF MANUSCRIPTS LJS
405

4.

كتاب السياسة الـ[illegible]

المسمى تسهيل النظر — بسم الله الرحمن الرحيم

وتعجيل الظفر

تأليف أقضى القضاة أبي الحسن

علي بن محمد بن [illegible] الماوردي رحمة الله عليه

عبد ربه تعالى محمد بن أحمد
بن عبد النبي [illegible]
الشهير [illegible]
عام 1266

الكاسر بالأوقات تتصرم

في نوبة العبد الفقير [illegible] محمد بن الحسن [illegible] عامله الله [illegible] ولطفه الخفي

ملكه من فضل الله تعالى [illegible]
العبد الفقير محمد كوفان عثمان [illegible]
مستورة الخفي [illegible]
[illegible] عبد الرحمن [illegible]

عبد الله تعالى عبد الرحمن [illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد

الحمد لله الذي جعل الحق محرزا لمن اعتقده وتوخاه ومعينا
لمن اعتمده وابتغاه وجعل الباطل مذلا لمن اثره وارتضاه
ومديلا لمن اظهره واقتفاه حمدا يوازن جميل نعمه ويضاهي جزيل
قسمه وصلى الله على سيدنا محمد النبي واله وصحابته

اما بعد فان الله جل اسمه ببليغ حكمته وعدل قضايه جعل
الناس اصنافا مختلفين واطوارا متباينين ليكونوا بالاختلاف
موتلفين وبالتباين متفقين ويتعاطفوا بالايثار تابعا ومتبوعا
ويتساعدوا على التعاون امرا ومامورا

فبالناس عاش الناس قدما ولم يزل من الناس
مرغوب اليه وراغب

فوجب التفويض الى امره سلطان مستنزع بانقياد الناس لطاعته
ويتدبرون بسياسته ليكون بالطاعة قاهرا وبالسياسة مدبرا
وكان اولى الناس بالعناية ما سيست به الممالك ودبرت
به الرعايا والمصالح لانه زمام يقود الى الحق
ويستقيم به اود الخلق وقد اوجزت بهذا الكتاب
سياسة الملك ما احكم المتقدمون

قواعد

٢

فوائده فان لكل ملة سيرة ولكل زمان سريرة فابعث ما الف عن مؤتنف يوضح من الشريعة عهودها ومن السياسة معهودها ليكون للدين موافقا وللدنيا مطابقا وجعلت ما تضمنه بابين

فالباب الاول في اخلاق الملك والباب الثاني في سياسة الملك

ليكون مشتملا على معتقد ومعقول ومصلحا للعامل ومعمول تقسيمة الكتاب

ونحته بتسهيل النظر وتعجيل الظفر اذ كان ما تضمنه داعيا اليه باعثا عليه وانا اسال الله الكريم حسن المعونة والتوفيق وارغب اليه في امدادي بالرشد والتسديد وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الاول

في اخلاق الملك

الاخلاق غرايز كامنة تظهر بالاختيار وتقهر بالاضطرار وللنفس اخلاق تحدث عنها بالطبع ولها افعال تصدر عنها بالارادة فهما ضربان لا تنفك النفس منهما اخلاق الذات وافعال الارادة فاما اخلاق الذات فهي من نتائج الفطرة وسميت اخلاقا لانها تصير كالخلقة والانسان مطبوع على اخلاق

جميعها او ذم سايرها وانما الغالب ان بعضها محمود وبعضها مذموم
لاختلاف ما امتزج من غرايزه وتضاد ما اتفق من حالاته فتعذر
لهذا التعليل ان يستكمل فضايل الاخلاق طبعا وغريزة ولزم لاجله
ان يخللها رذايل الاخلاق طبعا وغريزة فصارت الاخلاق عتيدة
متحكمة في جبلة الطبع وغريزة الفطرة من فضايل محمودة ورذايل مذمومة

قال الشاعر

وما هذه الاخلاق الا طبايع فمنهن محمود ومنها مذمم

قال بعض الحكماء

كل خلق من الفضل رقيب من الاذاة لا يمنعه الامور للفضل على ما
سواه واذا استقرت هذه الاخلاق على من الف اعدله فالفاضل
من غلبت فضايله رذايله فقدر بوفور الفضايل على قهر الرذايل
فسلم من شين النقص وسعد بفضيلة التخصيص ولذلك قال علي عليه
السلم اول ما تبتدون به من جهادكم جهاد انفسكم وهذا واضح
لان صلاح النفس يصلح ما عداها فكانت احق بالتقديم واولى
بالتقويم واختلف في الاخلاق هل هي عايدة الى الفضايل
او الى النفس التي يصدر عنها الفضايل والرذايل

والحالة الثانية ان يجهل ويجهل انه يجهل فهو اسوأهما حالا وافحشهما حيفا الا
لانه اذا اجهل جهله صار جهلين متشاكلين في الصور مختلفين في الاثر
احدهما سالب لهدايته والاخر جالب لغوايته فطاح بالاول في سكراته
ومرح بالاخر في هفواته فلم يجبر له فاقة ولم يرج له افاقة وقد قال
جالينوس الجهل بالجهل جهل مركب وقال اخر لان اجهل واعلم انني
اجهل احب الي من ان اجهل واجهل انني اجهل

الناسخ **قال سليمن بن داود عليه السلم**

المناحة على الميت سبعة ايام وعلى الجاهل كل ايام حياته والموت
خير من الحياة الردية ويقال في منثور الحكم الجاهل وان توفرت عليه
الايام فكانه ابن يومه وتلاد ساعته وقال بعض العرب
لو صور العقل لاظلمت معه الشمس ولو صور الجهل لاضا معه الليل

قال الشاعر

للعقل ما خلق الانسان فالبس بالعقل حظك لا بالجهل والنسب
لا يلبث الجهل ان يجني لصاحبه ذما ويذهب عنه بهجة الحسب
والفضايل توسط محمود بين رذيلتين مذمومتين من نقصان يكون
او زيادة تكون سرفا فتكون مساوئ كل فضيلة من طرفيها فالعقل واسطة بين
الدها والعباوة والحكمة واسطة بين الشر والجهالة والسخا واسطة

بين التقتير والتبذير والشجاعة واسطة بين الجبن والتهور والحيا
واسطة بين الخنة والحصر والوقار واسطة بين الهذر والسخافة
والسكينة واسطة بين السخط وضعف الغضب والحلم واسطة بين افراط
الغضب ومهانة النفس والعفة واسطة بين الشره وضعف الشهوة
والغيرة واسطة بين الحسد وسوء العادة والظرف واسطة بين الخلاعة
والفدامة والمودة واسطة بين الخلابة وخشا الخلق والتواضع
واسطة بين الكبر ودناءة النفس وقد يحدث من تركيب فضايل مع غيرها
من الفضايل فضايل اخر فيحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر في
الملمات والوفا بالايعاد وعن تركيب العقل مع السخا انجاز المواعيد
والاسعاد بالجاه وعن تركيب العقل مع العفة النزاهة والرغبة عن
المسئلة وعن تركيب الشجاعة مع السخا الايلاف والاخلاف وعن
تركيب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة على الحرم وعن
تركيب السخا مع العفة الاسعاف بالقوت والايثار على النفس وكثير
من الاخلاق نتايج تؤول الى رذايل حكي عن علي عليه السلم انه قال
عجب ما في الانسان نفسه وفيها من الاضداد ما اذكره ان سنح لها الرجا
ا الطمع وان هاجها الطمع اهلكها الحرص وان ملكها الياس
الاسف وان عرض لها الغضب اشتد بها الغيظ وان اسعدها

الرضا

الرضا الشيب الحفظ وان نالها خوف شغلها الحذر وان اتسع لها الامن
استلبها الغرة وان جددت لها نعمة احدثت لها مرحا وان اصابتها
مصيبة فضحها الجزع وان نالت مالا اطغاها الغنى وان افرط عليها
الشبع كظتها البطنة فكل تقصير بها مضر وكل افراط لها مفسدة
وقال غيره الافراط في التواضع مذلة والافراط في التكبر يستجر البغضة
والافراط في الحذر يدعو الى اتهام الخلق والافراط في الانس
يكسب قرناء السوء والافراط في الانقباض يوحش ذوي النصيحة

قال ابن المعتز

لو ميزت الاشياء لكان الكذب مع الجبن والصدق مع الشجاعة
والراحة مع الياس والذل مع الطمع والحرمان مع الحرص وقد تنقسم
قسمين احدهما ما اوجبته المخلوقين وهو ما عاد نفعه عليهم والثاني
ما امضيته الخلق وهو ما قصد به وجه الله تعالى روى جعفر
ابن محمد قال ناجى الله تعالى بعض انبيائه فقال يارب اي خلقك احب
اليك قال اكثرهم لي ذكرا قال يارب فاي خلقك اصبر قال اكظمهم غيظا
قال يارب فاي خلقك اعدل قال من دان نفسه قال يارب فاي خلقك
اغنى قال اقنعهم برزقه قال يارب فاي خلقك اسعد قال من اثر الناس
على هواه قال يارب فاي خلقك اشقى قال من لم تنفعه الموعظة

هذا ما يتعلق بأخلاق الذات **فصل**

وأما أفعال الإرادة فتصدر عن أسباب باعثة عليها وداعية إليها
وهي العقل والرأي والهوى والشهوة وأما الإرادة فصادرة إلا
عن أحدها وأما العقل والرأي فمؤتلفان وهما علة الفضائل وفي
الفرق بينهما وجهان أحدهما أن العقل ما يتميز به الصواب من الخطأ
والرأي علة الظن في ترجيح الصواب على الخطأ والوجه الثاني أن
العقل هو الموجب لأمر لا يجوز خلافه والرأي هو سكون النفس إلى
ترجيح أمر يجوز خلافه ثم يفترقان في البعث والصفة ويختلفان في
العلة والنتيجة فالعقل لازم لمحله ومستقر بحكمه والرأي معترض
لسبب يمده العقل ويستمده بقوته ولذلك قيل ظن العاقل أصدق من
يقين الجاهل وقال علماء العرب سمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه
عن القبائح وكان المأمون ينشد كثيرا قول الشاعر

يعد عظيم الناس من كان عاقلا وإن لم يكن في قومه بحسيب
وإن حل أرضا عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب

وكان العقل مستقلا بنصيبه فقد يزداد بالتجارب تيقظا
في الأمور وتحفظا فلا يلتبس عليه حزم ولا ينتقض عليه عزم
يحتاج إلى العقل والعقل يحتاج إلى التجارب وقد قيل

سنن عونه الحداثة بدراسة كتب المتقدمين واشتغل على ادراك
الاحوط بحفظ اثار الماضين

قال بعض الحكماء

من لم يلقح رايه التجارب عقمت همته فنظمه بعض الشعراء

من لم يلقحه نوايب دهره وحوادث الايام فهو عقيم

وليجهدن ان لا يجعل نفسه في الهوى نصيبا وقد قيل من اذل هواه
عز وقال بعض الحكماء شعر

نعم اخو التقوى فتى طاهر الحجا خميص من الفحشاء عف المسالك
فتى ملك اللذات ان يعبدنه وما كل ذي لب لهن بمالك

وقال

والنفس ما اهواه والموت دونه كشارب سم في اناء مفضض
فيوشك امر اصبي يؤوب لموضع تفرق ما بيني وبين ممرض

فصل

فاما الكرم والمروة فهما قريبان في الفضل ومشتبهان في العقل
والفرق بينهما مع التشاكل من وجهين احدهما ان الكرم مراعاة
ان يكون على انفعها وافضلها والمروة مراعاة الاحوال ان يكون
احسنها وا[illegible]ها والوجه الثاني ان الكرم ما تعدى نفعه

عيبوا فاعله والمروة قد تقف على فاعلها ولا تتعدى الى غيره فان
استعملها في غيره ما زجت الكرم ولم تنفرد بالمروة وصار بالاجتماع
افضل وان افترقا كان الكرم افضل لتعدى نفعه وتعدى النفع افضل
وليس واحد من الكرم والمروة خلقا مفردا ولكنه يشتمل على اخلاق
يصير بمجموعها كرما او مروة روى عن النبي عليه السلم انه قال من
عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن
كملت مروته وظهرت عدالته ووجبت اخوته

قال بعض البلغاء

من شرايط المروة ان تعف عن الحرام وتصلف عن الاثام وتنصف في
الحكم وتكف عن الظلم ولا تطمع فيما لا تستحق ولا تستطيل على من
لا يسترق ولا تعين قويا على ضعيف ولا تؤثر دنيا على شريف
ولا تسر ما يعقب الوزر والاثم ولا تفعل ما يقبح الذكر والاسم

وقال سليمان بن عبد الملك لابي حازم

يا ابا حازم من عباد الله اكرم قال اولوا المروة والنهى الذين نهوا النفس
عن الهوى ولم يعقلوا الهوا وعصى

قال انو شروان لابنه هرمز

ما المروة قال من حصن دينه ووصل رحمه واكرم اخوانه

اشتقاق اسم المروة من كلام العرب ما يدل على فضيلتها عندهم وعظم
خطرها في نفوسهم وفيه وجهان احدهما مشتقة من المروة والانسان
فكانها ماخوذة من الانسانية والوجه الثاني انها مشتقة من المري
وهو ما استمراه الانسان من الطعام لما فيه من صلاح الجسد
فاخذت منه المروة لما فيها من صلاح النفس فكل كرم ومروة فضيله
وليس كل فضيلة كرم ولا مروة بل تنقسم الفضايل مع الكرم والمروة
كالعفو والعفة والامانة والقسم الثاني ما يدخل في الكرم ولا
يدخل في المروة كالحلم والرحمة والحمية والبذل والمسامحة
والقسم الثالث ما يدخل في المروة ولا يدخل في الكرم كعلو الهمة وحسن
العشرة ومراعاة المنازل والملابس والقسم الرابع ما لا يدخل
في الكرم ولا المروة كالشجاعة والصبر على الشدة فاجتمع الكرم والمر
في بعض الفضايل وافترقا في بعضها فصار الكرم اعم من المروة في
بعض الفضايل والمروة اعم من الكرم في بعض الفضايل فلم يتعين
عموم احدهما خصوص الاخر فان تناسب ما تميز به احدهما

فصل وهذا ما استقرت عليه قواعد الاخلاق

واما السجايا فقد اختلف في الفرق بينها وبين الاخلاق ف
احدهما ان السجايا لم تنطق الطبايع والاخلاق ما المهونه فكا

ظهورها سجايا وصارت بعد ظهورها اخلاقا والوجه الثاني ان
السجايا ما لم يتغير بتطبع ولا تطبع والاخلاق ما جاز ان يتغير
بتطبع وتطبع وزعم بعض علما الطب ان السجايا والاخلاق تابعة
لمزاج البدن فى احوال الطباعة بالزيادة والنقصان تزيد بزيادتها
وتنقص بنقصانها فزعموا ان الغضب يسرع بكثرة المرة الصفرا
ويضعف بقلتها وتكثر الجرأة النجدة والشجاعة من وفور الدم
وتقل لقلته ويكثر الخبث والدها والمكر لغلبة المرة ويقل ان قلت
ويكثر الحلم والاناة بغلبة البلغم ويقل ان قل فاذا اعتدلت فيه
هذه الامزجة اعتدلت اخلاقه فكانت فضايل وان تجاوزت
الاعتدال الى زيادة او نقصان خرجت عن الفضايل الى الرذايل
فى الزيادة والنقصان والذي عليه المتدينون ان الله تعالى
ركبها فى النفوس وطبعها فى الفطر بحسب ارادته على ما قدره
من احوال عباده وجعل اختلاف الاخلاق كاختلاف الخلق والصور
التي ليس لها علة غير ارادته فاما الشيم فكالسجايا فى قول الاكثرين
وكالاخلاق فى قول الاقلين والفرق بين الغرايز والسجايا
ان الغرايز ما امتزج بالطبع والسجايا ما ظهر بالقوة واذا وضح ما ذكرنا
من احوال الاخلاق من صلاح وفساد وحمد وذم فليس يخلوا

الانسان ومن اخلاق ستة احوال لحدا هن ان تكون اخلاقه كلها صالحة

في الاحوال كلها فهي النفس الزاكية وصلاحها هو الخير التام وصاحبها

هو السعيد بالاستحقاق فتحفظ صلاح اخلاقه كما تحفظ صلاح جسده

ولا تغفل عن مراعاتها انفة بصلاحها فان الهوى مراصد والمهمل

معرض للفساد

قال بعض الحكماء

النفس عزوف ونفور الوف من ردعها ارتدعت ومن حملها

حملت وان اهملها فسدت

قال علي بن عبيد الريحاني

ان من شان النفس انها كلما اعطيت رخصة في الغفلة

ازدادت اكثر مما اعطيت وردها قبل الفلات اهون من

الحاجة ولذلك قالت العرب في امثالها لو نهيت الاولى

الاخرى

قال عمر بن عبد العزيز لمولاه مزاحم

ان الولاة جعلوا العيون على العوام وانا اجعلك عيني على

فان سمعت كلمة تخشى علي بها وفعالا لا تحبه مني فعظ

والاستظهار بمثل هذه الاحتياطات

٣٩ الكرودناة

واسط بين العمى ... والتبذير والحلم واسطة بين افراط الغضب وعدمه والمسودة واسطة ... وجساوة الخلق ... الحيا واسطة بين التحجر والوقاحة ... الاعتدال ...

قال بعض الحكماء

ان للناس انما يحفظون عليك اقوالك فيما ذكروك ما قد
انسيت واياك عنهم ما قد سقط عن عليك فعلى حسب ذلك
فليكن حذرك من ذمهم وتحرزك لهم بعيانة نفسك عندهم والحال
اعتدال الثانية ان تكون اخلاقه كلها فاسدة في الاحوال كلها فهي النفس
... بينة وفساده ما هو الشقي التام وصاحبها هو الشقي بالاستحقاق
... صلاح فساد نفسه كعلاجه مرض جسده وهو اصعب احوالها
... وابطالها اصلاحا لانها استقرت بغير ضد وتردع عن
... طبع بغير طبع ه

... بعض الحكماء

... من قلة العقل ولا ان يداوي المرء عقله من الجهل
... يداوي بدنه من المرض فليس يسما سهاما ويندرج في
... اما بالتدرج عن احوال متقاربة الى غاية متناهية
... الوحشي يقوده بالتدرج الى اصطباحه
... نوع

قال الشاعر

... اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع
... به نذيرا ناصحا وسفيرا ... القلوب

خواه

فواطر با الموت والعقول تجرو ثمن وفي التجارب علم مستفاد

والاعتبار يفيدك الرشاد وكفى ادبا ما انكرته من غيرك وعظ نفسك

بالعبرة وقيل لبعض الحكماء متى بادبت بطلب الشرف والفضل فقال

منذ الوقت الذي بدأت فيه بمعاتبة نفسي على ما تأتي من القبائح

الحال الثانية ان تكون اخلاقه صالحة في كل الاحوال فيقبل كلها لها

لفسادها في كل الاحوال فهو المستفاد به من الجود بعد الكون ولليس تكون

الا من اسباب ناقلة لا تنفك فيها من احد ثلثة امور اما من سوء منشا

واما من غلبة شهوة واما من اهمال وقلة تحفظ فيعالجه بالمد...

سيئته فان في صلاح الطبع عونا على فساد الاكتساب و...

انقياد طبع طرا عليه عارض قال الشاعر

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى فان اطعمت تاقت والا تسلت

ولئن تغير الطبع بالاهمال فهو الى اصله راجع واذا انقـ...

كان بالله استغفاه اسرع

قال بزرجمهر

من طباع النفس استدامة المعتاد بدر لصاحبها فيما ...

... فليعلم العاقل انها ان سهلت له عذرا في فتح اناه

في قبوله مهمات قال الشاعر

٨

وان امرأ لا ينتهي عن غوايةٍ اذا ما اشتهتها نفسه لجهول

والحال الرابعة ان تكون كل اخلاقه فاسدة في كل الاحوال فيتقلب الى الصلاح في كل الاحوال فذاك الا لداع غلب على الطبع فاخذ به وقوي عليه حتى قلبه فيراعي حفظ اسبابه ويعوّنه مواد ولا يغفله فيجذبه الطبع الى الجنس فان نوازع الطباع احذب وهي الى ما ناسبها اقرب وقليل لمعتاد صلح ان يكون محفوظ الصلاح

قال بعض الحكما

الادب من غيره من لم يدم عليه الادب اخل ما يستفيد منه ... الطبقة وملاك صلاحها ان يكون زمن يوافقه في الصلاح ... خالفه فيه فان للصحبة تاثيرا في اكتساب الاخلاق ... الوفاق لقصور الطرف عنها وسكون النفس اليها ... النبي عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر احدكم من ... قال عبد الله بن طاهر ان لكل شي حياة وموتا ثمرتا ... محادثة الالباء ونجي الود محادثة الاودا ونجي ... الاعزا ونجي الذل مظاهرة الاذلا ونجي ... مصاحبة الشجعا ونجي الكرم مواصلة الكرما ونجي ... الحيا ونجي اللوم معاشرة اللئا

فا

لبعيدٌ بعيداً أن يحدث الصلاح عمن ليس فيه صلاح لأن صورة نفسه
أشد وهو بشهواتها أخص فإذا غلب عليه عنادها واستصعب
عليه قيادها كان عناد المباين له أغلب وقياده عليه أصعب

قال بعض الحكماء

من بدأ بسياسة نفسه أدرك سياسة الناس

قال بعض البلغاء

لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه ممتنعة عليه
وقيل إذا عجزت عن أدب نفسك فلا تلم من لا يطيعك قال شعر
أتطمع أن يطيعك قلب سعدى وتزعم أن قلبك قد عصاكا
ولما حسن ظن الإنسان بنفسه فأغفل مراعاة الخلاف دعاه حسن
الظن بها إلى الرضا عنها فكان الرضا عنها داعياً إلى الانقياد لما أفسد
منها ما كان صالحاً ولم يصلح منها ما فسد لأن الهوى أغلب من الرأي
والنفس أجور من أن تعدل إلا بالسوء آمرة وإلى الشهوات مائلة كما قال
الله عز وجل إن النفس لأمارة بالسوء ولذلك قال النبي صلى الله
عليه وسلم الشديد من ملك نفسه

قال بعض الأدباء

من رضي عن نفسه أسخط عليه الناس ومن حسن الظن بها أسا

اسبابه الكبر والاعجاب وهو بكل احد قبيح وبالملوك اقبح لانه من
دواعي صغر الهمة وشواهد الاستنكار لعلو المنزلة وهذا من
ضعف المنة التي بها الملك تمنعه لان قدرتهم تظهر بالقدرة والسلطان
لا بالكبر والاعجاب وكفى بالمرء ذما ان تكون همته دون قدره وهمته
انقص من قدرته

قال بعض الحكماء

لا ينبغي للعاقل ان يرى شيئا من الدنيا لنفسه خطرا فيكون به تائها
وقال عبد الملك بن مروان افضل الناس من تواضع عن رفعة وزهد عن
قدرة وانصف عن قوة وقيل التواضع في الشرف اشرف من الشرف
والملوك اعلى الناس هميا واشهرهم ابتلاء فلذلك كان الكبر والاعجاب
بهم اقبح ونقصه عليهم اعم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
سمعت ابا بكر رضي الله عنه يقول

اذا اردت شريف الناس كلهم فانظر الى ملك في زي مسكين
[illegible] حسنت في الناس رافته وذاك يصلح للدنيا وللدين
[illegible]ه والوقار اولى به من الكبر والاعجاب ومن الناس من لا
[illegible] الكبر والوقار وهذا جهل بمعناهما لان الوقار اقتصار والكبر
[illegible]ا الكبر والاعجاب فقد يجتمعان في الا[illegible] ويفترقان في شي

15 ١٠

المعنى والاعجاب يكون في النفس وما يظهر من فضايلها والكبر يكون
بالمنزلة وما يتبين من علوها فكانت علة الاعجاب من ذاته فصارت
الزم وعلة الكبر طارية فكانت الام وهما رذيلتان في الفضل والمنزلة
وقيل عظمة الانسان تواضعه وللكبر اسباب فمن اقوى اسبابه
كثرة المتقربين واطرا المتملقين الذين قد استحبوا الكذب
والنفاق واستسهلوا المكر والخداع ادبا لانفسهم وصنعة اقدارهم
فاذا وجدوا النفاق فيهم سوقا ولكلامهم تصديقا جعلوه في ذم النوكى
سلما استلفوهم ومغنما اجروه واغتنموا به دنيا وعوضوا منه شيئا
وحكم الممدوح بكذب قولهم على صدق علمه بنفسه وجعلهم طريقا
الى الاستهزا به لانهم صدعوه بالضدح وخادعوه بالخدع ومن اجل
ذلك قال النبي عليه السلم احثوا في وجوه المداحين التراب وقال عليه
السلم اياكم والمدح فانه الذبح وقيل لا تستتروا لمن يشهد لكم بالمدح
اذا مدحتم لانا ربما رأينا ممدوحا هو بالذم احق وقيل حب المدح
واسطة بين الفضايل والرذايل فهي اخر الرذايل واول الفضايل
هذا على الملامة ذلك والصواب ان يقيس ما احبه
ليلتذ بسماع ما ليس فيه كان رذيلة ونقصا وان احبه له
كان فضيلة لانه يبعث على فعل الفضايل وبما يبعث على

عل
فال

وهذا امر ينبغي للعاقل ان يراعيه من نفسه ويفرق بين متملقيه
احيانا بالملاينة وبين من يخلص له النصيحة من اهل الصدق والوفا الذين
هم مرآة لمحاسنه وعيوبه وامنا مشهده ومغيبه قال سليمن بن داود
عليه السلم شفقا الصديق رحمان وشفقا العدو شطوبا لعداوة وقيل
لبعض الحكما من اولى بك منك واصدق في نصيحتك من نفسك لك قال
من صدقني ان نصحت ونهاني ان غفلت فان اغفل هذا الفرق
والتمييز واستهل الاغترار بالتحويز داهن نفسه ومالق عقله واستفسد
اهل الوفا والصدق وصار مأكلة النفاق والملق فاعقبه اذى
وحسرة وتورط به في شبهة وحيرة والتبس به محنة ومعرة
وقد قيل الناقص ينقص حسه بلا عقل والسلطان اولى من حذر ذلك
وتوقاه لان حضرته لهمة الراغبين فيها كالسوق يجلب اليها
ما ينفق فيها وكل داخل عليه اما يريد التقرب اليه بقوله وفعله
اما طالبا للمنزلة واما اخذا بالمنفعة واما حذرا من المخالفة
ان زجرهم عقل ولم يكفهم دين من حوافي نفسهم فخانوا وشانوا
عن النبي عليه السلم انه قال لا يمنعن احدكم رهبة السلطان
ان ... اذا راه فانه لا يقرب من اجل ولا يباعد من رزق فاذا
... ف وراوه من ادق الارزاق عدلوا عن زواجر العقل

والمناصحة إلا من عدة الملك على رأيه لأنهم قد علموا منه إيثار الموافقة
على الهوى وحب المدح والإطرا فجعلوا ذلك أربح بضائعهم لديه وألطف
وسائلهم إليه وهو سهل التكلف لا يجد المتوصل المتقرب به مشقا فيجوز
ذمه حمدا وقد اكتسب به ذما ويتوهم قبحه حسنا وقد أورثه قباحة
وشينا ثم لا يجد ناصحا سليما ولا آمرا رحيما لأن النصح عنده بائر
مرذول والخداع إليه نافق مقبول فإن زويت هفواته بالإغضا
وستر عليها بالرضا طاح في اغترابه ومرح في غلوايه فطمس
بهجة محاسنه وأوهى جلالة قدره وقد قال الغنائي الشاعر

لعمرك من شي تفارقه أبقى لعرضك من قول يداجيكا
لقد رمى بك في تيها مهلكة من كان يجمل النصح الذي فيكا

وهذا مما يجب أن يتوقاه الملك ويحذره ليكفي مخادعة الهوى
ويميزه عن مداهنة النفس قال النبي عليه السلم إذا أراد الله
بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه

قال بعض الحكما

من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ فصل وإذا كان
الوقار محمودا وكان ذو القدر به مأمورا فهو أول شواهد الفضل
وإن من قواعده أن يتوضح منه فضولا تدل على بقائها يتبع

بعضها ببعض فمن ذلك قلة التسرع الى الشهوات والتثبت عند الشبهات
والاعراض عن الهفوات وضبط النفس عن سرعة الحركات ثم اطراق
الطرف ولزوم الصمت الا من ضرورة لا يجد فيها الا الكلام بدا ليسلم
من هذر الاسترسال ويأمن من معرة الطيش فان الملك موصوف
الالحاظ محفوظ الالفاظ لا تشيع زلاته وتنتشر هفواته وبحسب
ذلك يكون مجانبة الشر وفضايله اشهر من السكوت ممدوح ومن
الكلام على خطر وفي الحصر خير من الهذر لان الحصر
يضعف الحجة والهذر يتلف المهجة

قال بعض البلغاء

الزم الصمت فانه يكسبك صفو المحبة ويؤمنك سوء المغبة ويلبسك ثوب
الوقار ويكفيك مؤونة الاعتذار وتكلم اربعة من حكماء الملوك باربع
كلمات كانها رمية عن قوس فقال ملك الروم افضل علم العلماء السكوت
وقال ملك الفرس اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم املكها وقال
ملك الهند انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقال ملك
الصين ندمت على الكلام ولم اندم على السكوت وليعلم ان الحاجة
الى الصمت اكثر من الحاجة الى الكلام لان الحاجة الى الصمت عامة
والحاجة الى الكلام عارضة فلذلك ما وجب ان يكون صمت العاقل

فيه ظنٌّ ولا يقدح فيه طعنٌ فانه وان كان له في الدين مخرج منها فما
يقف عليه كل من سمع بالتزامها ولا يعرفه الا العلما باحكامها
ولئن يراقب في دنياه بعد مراقبة الله تعالى في دينه فيجمع بين رضا الله
تعالى وتلافيه اولى من تفرده باحدهما واطراح الاخر وقيل دع ما
يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره فما كل من حكى عنك
نكرا يطيق ان يوسعه منك عذرا فان لم يجد الى الاستدامة التزامها سبيلا
او فسح من اسباب عزمه واتساع من وجوه مخرجه فليلتمس ورعه في حقيقته
ويقصد ما حفظ عليه سلامة دينه وعرضه فلا ينسب في هيبة الاحتشام
وعمله الى نكث قال بعض الحكماء
الكذب والغدر يشبهان اسنان الاسد ويفسدان قلوب الناس

فصل ومما هو الزم في اخلاق الملك واليق بشيمه اعتماد
الصدق واجتناب الكذب فانه سهل البادرة خبيث العاقبة لانه
يعكس الامور الى اضدادها ويستبدل الحقايق باغيارها فيضع الباطل
موضع الحق ويخيل ان الكذب متشبه بالصدق وكلا فان الزمان
يكشف عن خباياه وينم على خفاياه وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله امرا اصلح من لسانه وقصر عن عنانه والزم طريق الحق
قوله ولم يعود الخطل مفصله وتحذر الكذب جادا او هازلا

ولا يخاطر بنفسه فيه محققا ولا مبطلا الا على وجه التورية في خدع
الحروب انتهازا للفرصة فيها واخذا بالمكيدة في الحروب مهلة ولا
للظفر علة فانه في التوصل اليهما بعض الكلام مما استعمل فيها من الاستتار
ولذلك جاءت السنة بارخاص الكذب فيها على وجه التورية دون
التصريح قال النبي عليه السلم الحرب خدعة واذا امكن ان يكون ذلك
بمواضعة غيره كان اولى ان يكون ذلك مباشرة بنفسه وان لم يجد من
المباشرة بدا ودعت ضرورة ليكون التناول بالتورية محتملا والتصريح بالكذب
عنه منتفيا فيعذر اذا ظهر ولا يشهر بالكذب اذا اشتهر ولا يقل منه الا
عند ضيق الخناق فان اكثر منه افتضحت معاريضه فصار من تجاوز حد طبعه
فاسدا او مجحا وان بخل بنفسه في التصريح بالكذب على غير ما
قلناه في الحرب من التعويض الحسن اصابه موسوما واليه منسوبا لان
الانسان بما يسبق اليه يعرف وبما يظهر من شيمه يوصف وبذلك
جرت عادة الملوك انهم يعدلون العادل بالغالب من افعاله وبها اسما
ويفسقون الفاسق بالغالب من افعاله وبها الحسن وقلما يجمع احدهما
في الانسان وان جمع ندر قال الشاعر

من لك بالمحض وليس محض يخبث بعض ويطيب بعض

وقال امير المومنين عمر رضي الله عنه لان يضعني الصدق وقلما يفعل

احب الي من ان يتعنى الكذب وقل ما يفعل ولذلك قال النبي صلى الله عليه

اعظم الخطايا اللسان الكذوب

قال بعض الحكماء كذب الملك وغدره من دلائل حادث يحدث في ملكه لانه يشبه تخبط العليل في العلة ربما يزيده مرضا وفي بدنه نهكا واذا اونس بالصدق وقصر كلامه على المهم وكان تدبيره وتدبيره على حسب خطر الامور التي تجري فيها وعلى اوقات عليها كانت الفاظه القليلة وذممه غنيا بها فاستغنى عن كثير من الارغاب والارهاب وهذا اعجب للملوك في الترغيب عذوبة الكلام ولين الصوت لانه ارغب وفي الجبارة بالترغيب نجحا وبالنعمة وهي عليه احظى وفي الترهيب غلظة الكلام وجهارة الصوت لانه ارهب وفي لين الصوت بالترهيب ضعف المنة وقلة الهيبة ويجب ان يكون وعده ووعيده بقدر الاستحقاق من غير سرف ولا تقصير في ثواب او عقاب ليكون افعاله واقواله التي يقدر بها شرع او سياسة ولا يتجاوز محدودها ولا يفارق معهودها حكي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كتب الى عكرمة بن ابي جهل وهو عامله على عمان اياك ان توعد على معصية باكثر من عقوبتها فانك ان فعلت اثمت وان تركت كذبت

فصل ويحذر الكذب ويتوقاه فان تقود قوته واستنطاط

جدته بسلبان صواب ذوي الالباب ولا يهذب لهم خطاب ولا يحصل
لهم جواب ولا يتقيد لهم عقاب وقلما يسلم مع الغضب راي مع زلل
وكلام من خطل وفعل من عسف وحق من حيف ودين من حرج وعرض من
قدح وجسد من بطش وعدو من هبش هو شر باهر متسلط واصر
معاند مورط لا يعصي بوادره ان غلب ولا يخفى بوادره ان وثب وما
اشتملت عليه هذه الاخطار وتقابلت فيه هذه المضار كان التحرز من
خطره حزما وان السلامة من ضرره غنما ولبس في ذلك الا من كان العقل قايده
والتوفيق رايده فملك زمام نفسه حتى لطاعته وراض شماسها حتى اجابته
فان منى به الملك فبض نفسه عن الانقياد له حتى يزول عنه اختلاط نفرته
واستشطاط قدرته ثم يتصفح الذنب الذي اغضبه بعد سكون جاشه
ويقابل عليه بقدر استحقاقه ان لم يراه في العفو مدخلا ولا في
الصفح والتجاوز وجها ليقف على الصواب في قضيته وعلى العدل في
مواخذته فلا شي اضر بالملك من ان يخفى عليه حقايق الذنوب
ولا يقف منها على مقادير الحدود قال النبي عليه السلم اذا استشاط
السلطان تسلط الشيطان وقال سليمن بن داود عليه السلم
غضب الملك كالاسد الذي يزبر وحكي ان بعض ملوك الفرس كتب
كتابا ودفعه الى وزير وقال اذا انا غضبت فناولني هذا وكان فيه مكتوب

ما لك والغضب انما انت بشر ارحم من في الارض يرحمك من في السماء
وكان يفعل هذا لتنزل عنه الغضب فيستبين له الصواب حذرا من
قبح آثاره وشدة اضراره فاذا استطفي ثائر الغضب واستكف بادرة
الاستطاط ثم استعطفه المغضب واسترضاه فمن كرم الشيمة
وحسن العاطفة ان يلين له ويرضى عنه قيل من اعجب شيء ان يكون
الرجل يلتمس رضاه فلا يرضى واعجب منه ان يلتمس رضاه فيغضب
قال بعض الحكما من لم يقبل التوبة عظمت خطيئته ومن لم
يحسن الى التائب قبحت اساءته فان احب ان يتدرج الى الرضا
لان الانصراف عنه في قدم مبادئه وسهل دواعيه وكان في السر
راضيا وفي الظاهر غاضبا ليظهر الرضا عن احوال متشابهة
وينتقل اليه بعد امور متناسبة فليس مستنكر اذ كان بطي الغضب
ان يكون بطي الرضا كما ليس يستحسن ان يكون سريع الغضب
سريع الرضا غير ان من اخلاق الملوك سرعة الغضب وليس من
اخلاقهم سرعة الرضا والعلة في ذلك لما قد استقر في القلوب
من هيبتهم وادعنت به النفوس من طاعتهم ولا يلاقون ما يكرهون
ولا يرون الا ما يودون فاذا ندر ما يغضبهم خرج عن عرفهم فتعجل
به غضبهم وما يرضيهم داخل في عرفهم فلم يتعجل به رضاهم

مبسول السوء

[illegible]

ومن عداهم في الامر بخلافهم فلذلك وقع الفرق بين الملوك وغيرهم
في الرضا والغضب فان لم يظهر غضبهم فهو لسياسة وحزم هم فيه
مع كونهم فيه بين امرين اما ان يوطنوا انفسهم للصفح عنه واما ان
يؤخروه الى وقت الانتقام والاول كرم ورافه والثاني
حمية ونقمة ثم كذلك المحك واللجاج يجب ان يحذره فهو يؤلب الغضب
ومخلف العطب لانه يركب من الامور اصعبها ويفارق من الاراء
اصوبها ولقلما اجدى اللجاج الا شرا او افاد الا ضيرا وكفى
باللجاج مضرة ومعرة انه آلة الظلم تورك وان ساعد القضا
سورك فيصير بالمشاركة معذورا وفي المشاركة ممكورا قال
الشاعر ::

واذا رايت اخا اللجاج فخله حتى يعود الى الطريق الاقصد
ان اللجوج يلج ان لا يحنه مثل الشهاب يلج للمتوقد

فاذا انقاد الى الامر الارفق وساعده الراي الارفق لم يعدم
دركا ان انجح وعاذرا ان اكدى كما قال الشاعر

ليبلغ عذرا او يصيب رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرفق لم يكن قط
في شي الا زانه ولا نزع من شي الا شانه وليكن متساهلا

للزماء

للزمان في طلبته مباشرًا للقدر في ارادته ولا يطلب من الامور
معوزًا ولا متعذرًا ولا يطلب منها مدبرًا ولا موليًا فان خاشنه
الدهر لان وان عارضه القدر استكان فطالما الدهر مقلوب
ومعاند القدر مخذول **قال بعض الحكماء** ؛؛
من استعان بالرأي ملك ومن كابر الامور هلك قال الشاعر

ومكلّف الايام ضد طباعها متطلّب في الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما تبني الرجا على شفير هار

وليعلم ان الامور التي تدبرها لا تمضي الا بقوة الصرامة
وشدة الهيبة التي هي قاعدة الملك واس السلطنة وذلك لا يكون
الا لمن خيف غضبه وخشيت سطوته وليجعل ابدا الغضب تغاضبًا
لا غضبًا لان المتغاضب يقدر ان يقف منه على الحد المطلوب
ويعرف منه حقايق الذنوب والغضب انبعاث فيه اضطرار اليه
لا يقدر ان يقف منه على قدر حاجته ولا ينتهي منه على قدر كفايته
حتى يتجاوزه الى الحد المضر والتعدي المضر ولهذا اصاب من
كانت عقوبته للادب واخطأ من كانت عقوبته للغضب وهذا
مما ذكرناه في معنى الطبع والتطبع قال الشاعر ؛؛

فلم ار للسيادة كالعوالي ولا للثار كالقوم الغضاب

وعلى هذا القياس لا ينبغي ان يستفزه السرور فيملا الاستبشار قلبه
ويخلب الافراح لبه فيصير بها اشرا مرحا لاهيا ان نال ولا يستفزه
ان مال فيشمت به العدو ويستضعف العزيمة ولين الهمة وانه لحقيق
بمناسبته اليه ووسمه به واذا ضبط نفسه عن هذه الحال
ونزهه عن رذل المقال وتصور ان جميع الشأن وان جل محتقر
واذا نسبت لعالي منزلته واضيفت الى عظيم همته كفى استقرار
الفرح واهتزاز المرح فكان اشبه بجلاله واليق باعتداله

قال الشاعر

ولست بمفراح اذا الامر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب

وكذلك الحوادث اذا طرقت والنوازل اذا المت كانت سهلة الوطأة
في جنب صبره وشهامته قليلة الاثر لسعة صدره وبعد همته
فان طرى عليه منها طارئ بان فضله على من سواه بالصبر والمسكة
عند جزعهم والاناة والوقار عند حدتهم فيكون بصبره ممتثلا
امر الله تعالى فيما اراده راجيا للظفر فيما يعقبه ويرجاه
فان تلك الدنيا الهف وامتها مخوف ولقلما تساعد احدا
الا بعد شقوة ويعصى اليه الا بعد بوس ولان يرجو الامال
اولى من ان يخاف فواتها ويحزن بها اولى من الخائف بصدها

قال بعض الادباء

بالصبر على مواقع الكره تدرك الحظوظ قال الشاعر

اذا المرء لم ياخذ من الصبر حظه تقطع من اسبابه كل مبرم

فصل وليعلم الملك ان الصبر ينقسم بلغة اقسام وهو في
كل قسم محمود فاول اقسامه الصبر على ما فات ادراكه من نيل
رغائب او فقدت او فاته من حلول مصائب وبالصبر في هذا يستفاد
راحة القلب وهدو الجسد وفقد الصبر فيه منسوب الى
شدة الاسا وافراط الحزن فان صبر طايعا مسلما ورضي بقضا الله
مستسلما اعين على خطبه ونفس عن كربه وان ساء جزعه احتمل
هما لازما وصبر كارها اثما وحكم الصبر فيه ان لا ياسى اسفا
على رغبة ولا جزعا من نكبة فان الزمان تحول والهموم تزول

قال الشاعر

وفي الصبر عند الضيق للمرء مخرج وفي طول تحكيم الامور تجارب

والثاني اقسامه الصبر على ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف
وبالصبر في هذا تنفتح وجوه الاراء وتستدفع مكايد الاعداء
وفي مثله قال الله تعالى واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم
الامور

قال بعض الحكماء

بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الامور وفقد الصبر فيه منسوب الى الخرق والجور وحكم الصبر فيه ان لا يدهشه ما هجم ولا يذهله ما الم فللنوايب قدر معترض واجل مفروض

قال الشاعر

الاكل ذي سوف تسكن مرة وكل سحاب عن قليل تقشع

وقال اقسامه الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها او يخاف حدوثه من رهبة يخشاها وبالصبر والتلاقي يدفع عادية ما يخافه من الشر وينال نفع ما يرجوه من الخير

قال بعض الحكماء

من استعان بالصبر نال حسيمات الامور وفقد الصبر فيه منسوب الى سكون الجاش في امله وقلة الاستغاثة من وجله فقضا الله مقدور واجله مسطور

قال الشاعر

اصبري ايتها النفس فان الصبر احجا
ربما خاب رجا واتى ما ليس يرجا

فاذا

فان اشد الجوع والاذاية كيف لبا النعمة عليه واعشق بطن سلب
ما هو فيه فسيرى منها عن ما خفيف انجانه ويقيل احزانه وصفو الدنيا
منسوب بالاكدار

قال بعض العلماء

من الدنيا على الدنيا دليل قال الشاعر

ومن عادة الايام ان خطوبها اذا سر منها جانب سا جانب

وانشد المعتز للمامون

كذب نفسك ايها الدهر لك ان تجور وعندك الصبر

اليس لا انساك عن خطيل حتى يردك من له الامر

فصل وليس يصح الصبر في الامور سيرك الشرع اليها دون
كتمان السر فيها هو اقوى اسباب الظفر بالمطالب والبلوغ كيد العدو
المواريب قال النبي عليه السلم استعينوا بالصبر على الحاجات بالكتمان
فان كل ذي نعمة محسود وقال امير المومنين علي كرم الله وجهه
سرك اسيرك فاذا تكلمت به صرت اسيره

قال انوشروان

من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من
السطوات وكتمان السر ما صينت به الافواه من الاذاعة

وسترت به الاغفال من الاتباع فلم يؤثر اثاره ولم يثمر اختياره فان لم
يعتم لم يثم ولقلما انجح من افشا السر مرام او خلا منه من رام
فان لها عن قبض عنانه وسهى عن حفظ لسانه بدر ستره فاستمر
والف اسساله فاستمر ولم يبق مصون الا انهتك ولا مستور الا انفضح
فبودر قبل بداره وعوجل قبل حذاره وصار افشا سره انكا فيه
من مكر عدوه لانه ان لحظ بافشا سره احظ بما قدمناه من
ضرره وان كان مستودعا عنده لغيره صار مستودعه بعد المودة
عدوا يطلب ثاره ويستقبل نفاره قال الشاعر

فلا تامنن الدهر حرا ظلمته فما ليل مظلوم كريم بنائم

ولهذا الحذر نوا صابه الناس حزما وعزما وانفقوا عليه قولا وعملا
حكي انه تذاكر ناس من اهل الفضل كتمان السر في مجلس عبد الله
ابن طاهر فقال عبد الله
ابن طاهر

ومستودعي سرا تضمنت ستره فاودعته في مستقر الحشا قبرا

فقال ابنه عبد الله

وما السر في قلبي كميت بقبره لاني ارى المقبور ينتظر النشرا
ولكنني اخفيه حتى كانني من الدهر يوما ما احطت به خبرا

فصل

واعلم ان من لا يستغنى فيها عن مطالعة خليط مساهم واستشارة
ناصح مسالم فليختر لها امينا فان الركون الى حسن الظن
ذريعة الى افشا السر واكثر ما يوثق العاقل في اسراره من حسن
ظنه واعتماده فليس كل من كان على الاموال امينا احب ان
يكون على الاسرار مومنا والعفة عن الاموال ايسر من
العفة عن اذاعة الاسرار لان الانسان قد يذيع سر
نفسه بمبادرة لسانه وسقط كلامه ويشح على اليسير من ماله ضنا
به وحفظا له ولا يرى ما اضاع من سره كبيرا في جنب ما حفظه
من يسير ماله مع عظيم الضرر الداخل عليه فمن اجل ذلك كان
امنا الاسرار اشد تعذرا واقل وجودا من امنا الاموال
ولذلك علتان احدهما ان الضرر في اضاعة الاموال عاجل
والضرر في اذاعة الاسرار اجل ونفس الانسان موكله بالادنى
وان اخل ماضى والثانية ان السر يسهل الخروج مع السرور
لا يوجد لاذاعته مس فهو يسطو ان لم يحفظه حزم ولا يسعه
عزم والمال صعب المطلب وبتوق الجمع لا يبدوا الا سماحة
نفس يتقابل فيها الشح والسخا ويتزاحم فيها المنع والعطا

وفرق بين ما هو مبذول الا بانع وبين ما هو ممنوع الا باذل
واذا كان امنا الاسرار بهذا العوز نادم قبل الاختبار حتى
يظفر بمن تصفوا ... ليقل حذره وان لم يسلم من
الحذر لانه مستسلم والاستسلام غرر وقد قال النبي عليه السلم
احذر ممن تثق به كانك تحذر ممن لا تثق به

فصل

فاذا ظفر بهذا الامين المعوز فليدعه ستر ايداع مجوز متحفظ
فان وجد متطلعا اليه ومتوثبا الوقوف عليه حذره وفوقه فان
طالب الوديعة خاين ومستودع الامانة ظنين قال الشاعر

لا تذع سرا الى طالبه انما الطالب للسر مذيع

ثم لا فسحة في ابداء الاسرار مع الاضطرار الا لمستشير
ليامن عثارها ويتوقا اخطارها ويتحر بها الاستشار بالكناية
دون التصريح ويشير اليها بالتعريض دون الفصيح اذ كانت احوال
التعريض ممكنة وشواهد ذا ... فيها محتملة ليامن عواقب
الاذاعة من ذي الطبيعة والاستطالة بالادلال من
ذي العفة فان للزمان تغيرا وللاخوان
تنكرا

قال

قال بعض الحكماء

من افشا سره كثر عليه المتامرون ومن ضاق صدره اتسع
لسانه قال الشاعر

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر اضيق

قال بعض البلغاء

اذا وقفت الرعية على اسرار الملوك هان عليها امرها
ولا عذر لمن ظفر بسر لم يؤمن عليه ان يذيعه كما لا عذر لمن
ظفر بمال لم يؤمن عليه ان يستبيحه ولكن في حفظهما على حكم
المومن بعض يقضي في نفسه في ان امانته بالوفا في اللفظ والصواب
السادر بالادا ومما يجب على الملك ان يحفظه على نفسه
من اسرارها ان يوصها بفضل حزمه ويأخذها بقوة عزمه حتى لا
يظهر في وجهه امارة سخط ولا رضا ولا يعرف منه اثار حزن
ولا سرور فيظهر ما في نفسه وهو كامن وينم عليه وهو آمن
فيظن انه قد كتم سره وقد ذاع وطوى ما في نفسه وقد شاع
وليكن متشاكل الاحوال متماثل الاوصاف ليكون كتوم النفس
كما كان كتوم اللسان ولا يبدو في نفسه ما يكره ان يظهر على
لسانه ليكمل كتمان اسراره في الحالين وان اسوا الصوب

حالا واظهرها وبالآن تعرف ما في نفسه من غير اختيار فيعلمه
الثقة والظنين ويشترك فيه الخاين والامين وهو لو استوى
بالاحد فاذاعة لا تستكين منه ولا راى في موجب السياسة ومقتضى
الحزم ان يواخذ به ويعاقبه عليه فكيف يرضى من نفسه ما يستنكره
من غيره ويستبيح ما يعاقب عليه كلا ولئن كان مرامه صعبا
فهو سهل على من ساعده الطبع ثم على من تطبع به عند نفور الطبع
فيصير طبعا وتطبعا سهل على ذي الحزم اذا صادف عزما فان
الكتوم سهل بالمرء عليه واذا اضطر من نفسه ما يكره اتيان فثم اسراره
كان افضل حزما واقوى عزما من كتم سره بلسانه فاذا ساعده
الامران لم يبن له سر ولم يعرف له عورة

فصل

وينبغي للملك ان لا يمضي الامور المشتبهة بهاجس رايه ولا ينفذ
عزائمه المحتملة ببدرهة فكر فخرا من افشا سره وانفة من
الاستعانة بغيره حتى يستشير ذوي الاحلام والنهى ويستطلع
براي ذوي الامانة والتقى ممن حنكتهم التجارب فارتاضوا بها
وعرفوا موارد الامور وخفايا مصادرها فانه ربما كان استبداده
برايه اضر عليه من اذاعة سره وليس كل الامور اسرار مكتومة
ولا الاسرار المكتومة متساوية النجحا فاشبه معلومة

بما يعاقب عليه

قال النبي صلى الله عليه وسلم ما سعد احد برايه ولا شقي عن مشورة
وقال لمعاذ بن جبل استشر فان المستشير معان والمستشار
موتمن واحذر الهوى فانه قائد الاشقيا وقد قيل الاستشارة
عين الهداية وقد خاطر من استغنى برايه

قال بعض الحكما

حق على العاقل ان يضيف الى رايه اراء الحكما العلما ويجمع الى
عقله عقول الحكما فالراي الفرد ربما زل والعقل الفرد
ربما ضل ويعتمد على استشارة من صلاحه موصوفا بصلاحه
اذا كان عريا من الهوى مخدعة الالباب ومضلة الصواب
والعدا ومضد عن النصح والانصاف وشفق على الغش
والاخاف ولا يصح مع احد هذين راي لمستشير ولا الخلص منهما
قال النبي عليه السلم حبك للشي يعمي ويصم اي يعمي عن الرشد
ويصم عن الموعظة وكذلك حال البغض الذي هو ضده
لانها خروج من الحد الى تقصير او سرف واذا ظفر بالراي
ممن لا يراه للمشورة اهلا اخفاه حتى لا يخفى عليه غير اهله
ولم يستنكف من العمل به فان الفرائد ليست على قدر الاخطار
والرتب وانما هي ذخائر مستودعة فمن منحها من نبيه وخامل

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب
والفضة فلا يضيعوا فتح الحاجة الى راي من قل فليس يراد للمباهاة
والافتخار فليلتمس فيه اعيان ذوي الاخطار وانما يراد للصواب
والانتفاع كالضالة لا يمنعه من اخذها هانة ملتقطها وكاللولو
لا يمنعه من لبسها ذلة غايصها وكفى بالانسان شغلا ان
تسهل عليه المطالب فيدرك مراده باهون سعي واقل عنا وليس
عليه اذا اعمل بالراي ان يعزيه الى قايله وينسبه الى صاحبه
فيتوهن بهاشته ويعاب بذلته وانما ينبه به على صواب
ما ياتي وسداد ما يريد وقد روي عن النبي عليه السلام
انه قال كلمة الحكمة ضالة الحكيم حيث ما وجدها فهو احق بها

قال بعض البلغاء

من كمال عقلك استظهارك على عقلك واذا اشكلت عليك
الامور وتغير عليك الجمهور فارجع الى راي العقلا وافزع الى
استشارة العلماء ولا تانف من الاسترشاد ولا تستنكف من
الاستمداد فلان تسال وتسلم خير من ان تستبد وتندم

قال بعض العلما

من استغنى برايه ضل ومن اكتفى بعقله زل واذا لم يا يه الراي

عفوا

عفواً ولا وصل اليه من غيره تبرعاً الا من استشارة ذوي الالباب
والاستعانة في الامر الجليل والخطب المشتبه فان لكل عقل
ذخيرة من الصواب وخطأ في التدبير وقلما افضل عن
الجماعة راي لا يعرف صوابه ويشكل عليهم امر لا يفهم
جوابه وليكن اهل المشورة مع ما قدمنا في الجملة برآء من عداوة
او ضغينة ليعترف كل واحد منهم لصاحبه بالصواب اذا نطق
به ولا يمنعه الحسد والعناد على رده فان تعاندوا شغلهم
العناد عن الاجتهاد فلن يحظوا براي ولم يظفروا بصواب
لالتباس الراي بغلبة العناد وينبغي ان لا يجمعهم على المشورة
في مذهب الراي ليجتهد كل واحد منهم رايه ويستفرغ كل خاطره
ليختص برايه المجيب ويتعين في حظوة المصيب فان اجتمعوا في
ابتداء الراي كانوا فيه بين امرين اما ان يقودهم اول راي بدر
منهم الى متابعته فيصيروا مفوضين لراي واحد
قلدوه وهم اكفاء وتابعوه وهم نظراء واما ان يختلفوا فيتنابذوا
ويتشاغل كل واحد منهم بنصرة رايه حقاً كان او باطلاً
فيخرج بالمناظرة عن حكم المجتهد والمتابعة عن حكم المناقد
وكما ان الاصوب افرادهم في ابتداء الراي فكذلك الاصوب

أن لا يطلع بعضهم على استشارة بعض ليجتهد كل واحد منهم
فكره ويستنفد وسعه حتى ان حظي بدرك الصواب تخصص بشبه
التعويل وتميز بنباهة القبول وليكن مع ذلك غير وان في
الفكر ولا مقصر في الارتياء تعويلا على راى من شاور لان لا
يصير في الراى مفوضا وفي الامر متبلدا

قال بعض الحكماء

الاستسلام لراى المشير هو العزل الخفي واذا اظهروا
كوامن ارائهم عرضها على عقله وسبرها بفكره وتصفح مباديها
وعواقبها وسألهم عن اسبابها ونتائجها وباحثهم عن اصولها
وفروعها سؤال مستفت لا متعنت وطالب للصواب لا للرد ليستوضح
الحق من الباطل ويعلم الصحيح من الفاسد ولا يبدي لهم رايه
ان خالفهم ولا انه ياخذ به ويعمل عليه ان وافقهم ليجري الامر
على استبهامه حتى يعمل به ليظهر بالفعل دون العزم ليستفيد بذلك
اربع خصال احداهن صواب رايه وصحة رويته والثانية معرفة
عقل المشير وصواب رايه والثالثة وضوح ما استعجم من
الراي وانفتاح ما استغلق من الصواب والرابعة طي عزمه
عن الاشاعة والتحرز فيه من خطر الاذاعة فاذا انفرد له

الرأي الذي لا يخالطه فيه ارتياب ولا يعارضه فيه شبهة أمضاه
ولم يؤاخذهم بعواقب الاكداء ودرك الزلل فإنما على الناصح الاجتهاد
وليس عليه ضمان النجح لان اقضية الله خافية واقداره غالبة
لا يدفعها راي مجتهد ولا يصد عنها روية مناصح فلم يتوجه اليه لوم ان
اكدى ولم يقدح فيه ذم ان اخطاه

قال بعض الحكماء

الحوائج تطلب بالعناء وتدرك بالقضاء قال الشاعر

الم تر ان الدهر يلعب بالفتى ولا يملك الانسان دفع المقادر

ومتى عرف منه تعقب المشير بلوم او ذم استبد برايه وهو ملوم ووكل
الى ذنبه وهو مذموم فبقي بالمشاركه فردا لا يعاضد ومهملا
لا يساعد وبه من الحاجة الى مشورة ذوي الاراء ما لا يجد منه
بدا قال الشاعر

من كان ذا عضد يدرك ظلامته ان الذليل الذي ليست له عضد

فضعفت منته بالمشاركه وقلت مساعدته بالاهمال فتوجهت به
الخطوب وتنكبت عليه القلوب

قال بعض الحكماء

لو كانت الملوك تشرف بمقدار حاجتها الى ذوي الراي من الناس

٢٢

[illegible] المشير الناصح الاجتهاد وليس عليه ضمان النجح

مثل الذي يعرف اهل الراي من حاجته في الملوك لم ار عجبا ان
ترى مواكب الملوك على ابواب العلماء وكما ترى مواكب العلماء على ابواب
الملوك

فصل

وليعلم الملك ان اربعة اخلاق متقابلة ليس يعرى منها او من
ابدالها ملك فان استعملت في مواضعها ووقف منها على حدودها
حمدت وان استعملت في غير مواضعها او خرجت عن حدودها
بالزيادة او تقصير ذمت فاحدها الرافة والرحمة تحمد عند اهلها
وفي موضعها وتذم عند غلبتها وميلها لانها اذا غلبت افضت الى ترك
الحدود واضاعة الحقوق وذلك داع الى اهتياج طباع المفسدين
وتحريك مطامع المتغلبين فيحل من عرى السياسة ما كان بالرهبة
ملتئما وتخوف العقوبة منتظما ومن نسب الى رحمة بتعطيل
حد او تضييع حق او ترك فساد كان الفساد عليه اعود وهو لنظره
وسياسته افسد وصار كما قاله المتقدمون كالطبيب الذي
يرحم العليل من مرارة الدواء او الم الحديد بما يؤذيه رحمته الى
هلكته وسوقه الشفقة الى منيته فصير رحمته له بلا من
قسوته ورفقه به اضر من غلظته والرحمة خلق مركب من الود
والجزع ثم الخلق الثاني المقابل لهذا الخلق وهو القسوة والغلظة

فاما اذا غلبت افضت الى مجاوزة الحدود في الحماة وعمي به الاحيال
المساواة والمواخذة بالتهم والظنون والتشفي به بين الشك واليقين
فلا يأمن سليم ولا يتمشى سقيم وفي ذلك من فساد السياسة بما يحاش
المواسين وحيث سرائر المناصحين ما يجعل كل والٍ خصما وكل معين
الما ونما ظن بعض الولاة ان القساوة صرامة تعدل عن الاقتصاد والسداد
الى ضدهما وتجاوز حكم الدين والسياسة الى غيرها ولا خير في العدول
عن واحد منهما وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس
عذابا يوم القيامة اشدهم عذابا للناس في الدنيا واما الصرامة
فقلة الغفلة عن الجرائر ومعرفة الامور على الحقائق حتى لا يتدلس
عليه السقيم بالسليم والخائن بالامين ولا ينفق الخالع بصورة الطائع
والقساوة تهون في الحدود وتعدد في الحقوق بينه عليه اتباع
شهوته وتليم سطوته واذا اعتدل فيه هذان الخلقان رق لاهل
الحق وعنف لاهل الباطل اعتدلت سيرته وصحت سياسته والقسوة
خلق مركب من البغض والجراة ثم الخلق الثالث وهو السماحة
والعطا فان وقف على حد وهو بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة
وايصاله الى مستحقه بحسب الطاقة كان محمود البذل مشكور
العطاء وان تجاوز هذا الحد فاعطى في غير حق وبذل من غير

نفسه بتبذيره صار ملوماً بالى التبذير والاضاعة وصار بازاء تبذيره
حقوقاً مضاعة فقيل كل سرف فبازائه حق مضيع واذا استولت
امور الدنيا بغير استحقاق وتُدرك بغير سعي ثارت به مطامع
المجتدين وتكاثرت عليه وفود السائلين الذين العواطف لا اخراف
واستبدلوا به دون الاعتراف وان رام رضا جميعهم لم يطق لاتساع
آمالهم وفوق اطماعهم ولو اطاق لافتتح سعي اتباعه وخيبت
نيات اتباعه اذ سووا في العطاء بينهم وبين لم يسع سعيهم ولا
يسد في الموازرة والمظاهرة مسدهم

قال بعض الحكماء

لا خير في السرف ولا سرف في الخير وان عم بالعطاء قوماً وحرم
قوماً لم يكن بين من اعطاه وهو غير مستحق وبين من حرمه وهو
ولحقه من ذم من حرمه اضعاف ما لحقه من حمد من وصله وليس
يفي حمد من التبرع بالعطية ومن مراعاة من امتنع حرمة اذا طرحت
اسبابها وتلوح صوابها الا ان الملوك مطالب ذوي الحاجات
ونجاح ذوي الحرمات وهذا في حقوق السياسة من الواجبات
والسخاء خلق مركب من الجود والايثار ثم الخلق الرابع المقابل لهذا
الخلق وهو البخل والامساك المؤدي الى نفور النصحاء وتنكر الاتباع

واستطالة الاعداء فان الاموال تصير الى الملوك لتوضع في حقها
وتفرق على مستحقها لا ليعدل بها عن العطا الى المنع وعن التفرقة الى
الجمع وقد قيل من جمع المال لنفع غيره اطاعوه ومن جمعه لنفع نفسه
اضاعوه واذا سمح ومنع اعتقد كل ممنوع انه غير مماطل مستحق
مدفوع لا يعتذر ان منع ولا يشكر ان اعطى ثم ان ايام السلامة
معدومة وان ايام الاختلاط معتمة فهو على وصية من تقلب الزمان
وتوقع الغير والحدثان ثم تدعوه الضرورة ان تطاولت به المدة
الى الخيانة في امانته والعسف في تصحيحه وقبول الرشا في مصرفه
فتنعكس عليه قواعد دولته ويفسد بها نظام مملكته

قال بعض الحكماء

اذا بخل الملك كثرت اراجيف الناس عليه وقلت مودتهم له
واذا اعتدلت فيه هاتان الحالتان في العطاء والمنع فلم ينقص
من حق ولم ينبسط في باطل وسرف صلح واستصلح وقال
هشام بن عبد الملك انا لا نعطي تبذيرا ولا نمنع تقتيرا انما نحن
خزان الله عز وجل فاذا امرنا اعطينا واذا كره ابينا ولو كان كل
قائل يصدق وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلا ولا رددنا سائلا والبخل
خلق مركب من الشح والاسف فهذه اخلاق اذا احتذا الملك

نفسه بتعديلها فيه انتفت له السياسة العادلة واستقامت له
السيرة الفاضلة فان خرج الملك عن القصد والاعتدال المحمود
في العطا والمنع الى احد الطرفين المذمومين من زيادة في العطا
لسجايه او زيادة في المنع لبخله فقد تنقسم احوال الملوك فيهما اربعة
اقسام احدها ملك سخي على نفسه سخي على رعيته والثاني ملك
بخيل على نفسه بخيل على رعيته والثالث ملك سخي على نفسه
بخيل على رعيته والرابع ملك بخيل على نفسه سخي على رعيته
وقد اختلفت طوايف الامم اي الاربعة اقرب الى الصواب وابعد
من العيب وان الميل والخروج عن الاعتدال من خطا وعيب
على اربعة آراء فراى الروم ان اقربهم الى الصواب وابعدهم من
العيب هو البخيل على نفسه وعلى رعيته لانه مستبق وغير
مستهلك وراى الهند ان اقربهم الى الصواب وابعدهم
من العيب هو السخي على نفسه السخي على رعيته لانه منتفع ونافع
وراى الفرس ان اقربهم الى الصواب وابعدهم من العيب هو
السخي على نفسه البخيل على رعيته لانهم يرون تسليم النفوس من
الى احبابه فكان حق نفسه احق به من حق غيره وراى العرب
ان اقربهم الى الصواب وابعدهم من العيب هو البخيل على

تقسيم احوال الملوك الاربعة اقسام

نفسه السخي على رعيته لان ايثار غيره على نفسه افضل من ايثار نفسه
على غيره وقد جاء القرآن بما يظاهر هذا قول الله عز وجل
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون وقد ظهر ذلك في اشعار العرب حتى قال بعضهم
وانك ان اعطيت بطنك همه وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

فصل

ولتعلم الملك ان من قواعد دولته الوفا بالعهود فان الغدر قبيح
وهو بالملوك اقبح ومضر وهو بالملوك اضر لان من لم يوثق منه بالوفاء
على بذله ولم يحقق منه بتصديق قوله بفعله وثم بنقض العقود
ونكث العهود قل الركون اليه وكثر النفور منه وعنه والانقياد للملك
انما يكون بالركون الموجب للاستسلام والطاعة الباعثة على النصرة
ليصير الناس مع الملك من بين مستسلم اليه وناصر له وحينئذ
يكون الملك معتقدا فاذا نفرهم الغدر انتقضت قواعده لزوال
الاستسلام وقلة الناصر واذا عرف الاعدا الوفا منه لانوا وطال
عليهم بالنصرة شأنا ووثقوا على عذره بمثله فدان له الناس بمثل
ما دان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما تدين تدان
قال الشاعر

وعندي ان نقوض الحنث والنكث كلها مؤسسة لمن بنى وبغى بانفسهم

فما شي اضرّ بالملك من الغدر ولا انفع له من الوفا وربما استسهل

غدره ليفترصها فرصة فسامح نفسه بها وجعلها من الذنوب المكفّرة

بالتوبة ولا يعلم انها انكأ في مملكته من عدوّ قاهر ومتغلّب

جائر لانهم قد وسموه بها وان ندرت واتّهموا بها وان شذّت

ولا يقبلون توبته ويجعلون ما يعقبها من الوفاء اضطرارا او من

الغدر اختيارا فلا يكون في وفائه مشكورا ولا في غدره معذورا

وقد قيل ما الغادر بعاذر وربما تاوّل الملك في غدره تاويلا يجعله

عذرا لنفسه فلا يجد من الناس عاذرا ولا يكون عندهم الا غادرا لانهم

يحملون الامور على ظواهرها ولا يكشفون عن غوامضها

فيقضون بسقم الظاهر على سلامة الباطن وبفساد العيان على

صلاح الكامن تغليبا للظواهر على السرائر وما ينفعه ان يعذر

نفسه وهو عند الناس غير معذور ويشكرها وهو عندهم غير مشكور

قال بعض الحكماء

الوفا من الملوك يجلب اليهم نفوس الرعايا واموالها وقلة الوفاء يقبض

نفوس الرعايا واموالها

فصل

٢٦ ومما يجب على الملك ان يحفظ نفسه من الحسد فانه خلق دني
وطبع ردي هو في عموم الناس مذموم وفي اخلاق الملوك اذم لان
لان قدر الملك يجل عن دنايه ومنزلة المحسود مستصغره في عظم همته

قال بعض الحكماء

حسد الملوك يخفي بهجة الملك ولو لم يكن في الحسد من الذم الا
ما ينتهي اليه من تفضيل المحسود لكفى ذا الفضل خمولا وذا الفضيله
نقصا مكتفيا بانه اذا وصم وينصر اذا قصم قال ابن المقفع
الحسد والحرص يكسبا الذنوب واصل المهالك اما الحسد فاهلك
ابليس واما الحرص فاخرج ادم من الجنه وفي الحسد نوعا ام
يختص احدهما بظاهره والاخر بباطنه فاما الاخر الظاهر فهيبته
اذا عرف وفحه اذا وصف لانه في الظاهر شديد الاسى على الحسد
ان يكون للناس الافاضل وظاهره مذ افتتح اذا ذكروا وشايع اذا
ستر وخاصة الملوك الذين هم اس الفضايل ومعدن الخيرات
واما الاخص بالباطن فذلك القلب بغمه وهذا الحسد يسفهه ولا يجد
لقلبه سلوا ولا لحسده هدوا وهذا عذاب جنه بداه
والمحسود قرير العين وادع الحسد قد ضن ولم يستغفر وقيل

ليس في خصال الشر شي اعدل من الحسد لانه يبدا باضرار الحاسد
قبل المحسود واما المنافسة فهي غير الحسد فلا باس ان ينافس
الاكفاء في فضايلهم ويتشبه بالاخيار في محاسنهم ويجتهد ان لم يرد
عليهم ان لا يقصر عنهم ثم لا تجد كامل فضل الاخيار الا بالاقتدا
بالاخيار لان لكل نفس في الخير حظا مطبوعا وحظا مكتسبا فاذا
اجتمعا تكامل الخير بهما والعرب تقول في امثالها لولا الوئام
هلك الانام اي لولا الناس يرى بعضهم بعضا فيقتدي به
في الخير وينتهي به عن الشر لهلكوا قيل لعيسى بن مريم عليه السلم من
ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فاجتنبته وربما غلط قوم
فظنوا ان المنافسة في الخير هي الحسد وليس كما ظنوا لان المنافسة
طلب التشبه بالافاضل والحسد مصروف الى الضرر لان غايته
ان يعدم الفاضل فضله وان لم يصر للحاسد مثله فهذا هو الفرق
بين المنافسة والحسد فصارت المنافسة خيرا والحسد شرا
ومما هو جدير بالملك ان يجتنب الامتنان بانعامه والتبجح باحسانه
لانه من ضيق النفس وضعف المنة وهو تابع لفساد الاخلاق
وملحق بمساوي الشيم وفيه تكدير للصنيع واحباط للشكر واغرا بالذم
فينعكس عليه ما صنع فيصير مسيئا باحسانه ومذموما بامتنانه فيغتاض

بالاحسان كفروا وبالامتنان عصيانا الا ان يكونوا قد اطغوا واكفروا احسانه
واستبطان عصيانه فيخرج الامتنان عليهم مخرج الوعيد والتهديد
مقابلة على ما اضاعوه من شكر احسانه فيكون ذلك منه استئناف
احسان اليهم لانه تقويم على ميل وتاديب على زلل وحسبك
بذم الامتنان ان يصير عصيانا قال الشاعر

افسدت بالمن ما اسديت من حسن ليس الكريم اذا اسدى بمنان

فصل

ليكن من دأبه التصفح في ليله اعمال نهاره فان الليل احضر للخاطر
واجمع للذكر ليكون ما فعله موقوفا على استيضاح الراي فيه فان كان
صوابا ابرمه وامضاه واقتفى اثره فيما جانسه وضاهاه وان كان
قد مال فيه عن سنن الصواب وزل عن نهج الاقتصاد بادر الى استدراكه
فيما امكن وانتهى عن مثله في المستقبل ليكون بالماضي معتبرا وللمستانف
خبيرا وليعلم ان ما صدر من افعاله لا يخلو من ثلثة احوال
اما ان يكون قد اقتصد فيها ووقف منها على حدها وهو العدل المقصود
والغرض المطلوب او يكون قد افرط فيها فزادت او قصر عنها فنقصت
وكلاهما خروج عن العدل وميل عن القصد فليعرف ذلك
بسبره وتصفحه وليمضيه بعد العلم بصوابه قال النبي عليه السلم

اذا انبت أصبت او كنت تصيب واذا استعجلت اخطأت او كدت
تخطي ولكن مع ذلك متصفحا لافعال غيره فما اعجبه من جميلها
واستحسنه من فضائلها ادرجها فى فعله وزين نفسه بالعمل به فان
السعيد من تصفح افعال غيره فانتهى عن سيئها واقتدى بحسنها
فنال هنئ المنافع وامن خطر التجارب ووصل الى الصواب بغير
تكلف وعمل بالحزم من غير تعسف ووجد على حجر بالهند مكتوب
من اعتبر بغيره لم تصبه محنته قال الشاعر
ان السعيد له فى غيره عظة وفى التجارب تحكيم ومعتبر
ينبغى للسلطان ان لا يغفل عن الحذر والاحتراس ويجعل التوكل
على الاقدار وما تجرى به الاقدار طريقا الى اضاعة الحزم فيستسلم
بنوائب الدهر فان الله تعالى امرنا بالتوكل بعد الانذار وندب
اليه بعد الاعذار بذلك انزل كتابه وامضى سنته فقال عز وجل
خذوا حذركم وقال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال
النبي عليه السلام اعقلها وتوكل وسئل ما الحزم قال الحذر
وقيل لبعض الحكماء ما الحزم قال ان تحذر ما يمكن كونه قيل فما العجز
قال ان تأمن ما يمكن كونه وليعلم الملك ان شدة الاتقاء والحذر
نزعوا الى ما يتقى ويحذر فانه بما عاد عليه من استظهاره

فشل وداخله من شدة حذره وجل فصار بهما عرضة للنوائب ٢٨
وهدفا للمصائب فيدخله شدة اتقائه فيما كان منه بد واشفاقه
وقبل من التوقي تدرك الافراط في التوقي واذا اخذ بالحذر والاحتراس
في مواضع الشدة وعول على الجرأة والاقدام عند انتهاز الفرصة فقد
اخذ بالحزم في شدته وعمل بالعزم عند فرصته قال طاهر بن الحسين
ركوبك الامر ما لم تبد فرصته جهل ورأيك في الاحجام تغرير
فاعمل صوابا وخذ بالحزم مأثرة فلن يذم لاهل الحزم تدبير
وعلى هذا القياس ما وزعها من المنع والعطاء لان لكل قبيل حدا
وتجاوز الحد نقص في المحدود ليكن من عادة الملك اذا اراد المقابلة
على الاحسان والاساءة ان لا يتقدمهما بثواب ولا يتوعد
مسيئا بعقاب لانه على الامرين قادر وفي الوعد بالثواب تكدير
وفي الوعيد بالعقاب تنفير فاستغنى بالفعل عن القول الا ان
يجعل جملة ثوابا او ذمة عقابا فيقتصر على الجزاء بالقول بحسب
الاحسان والاساءة ولا يقترنه بوعد ولا وعيد على زيادة وليعتمد
على الجزاء بالقول فيمن كان بالحق عروفا وعن المال عزوفا فان
تاثير الكلام في الكرام ابلغ من تاثير الفعل باللئام وقد
قال انوشروان الناس ثلث طبقات تسوسهم ثلث سياسات

طبقة من خاصة الأخيار تسوسهم باللين واللطف وطبقة من
خاصة الاشرار تسوسهم بالشدة والعنف وطبقة هم العامة
تسوسهم باللين والشدة لان لا تحرجهم الشدة ولا تبطرهم اللين

فصل وليعلم الملك ان من اقوى الامور في نقض العزايم ٥
اعتقاد الطيرة فانه لا شي اضر بالراي ولا افسد للتدبير منها مع
ورود السنة باجتنابها والنهي عنها فما الاقدار الا اقضية محتوم
واجل معلوم قال الشاعر

ما للرجال مع القضا محالة ذهب القضا بحيلة المحتال

ومن ظن ان الطيرة ترد قضا او تدفع مقدورا فقد جهل ان
اقضية الله نافذة بامره وجارية على قدره فليحذر الطيرة ولا يجعل
لنقض عزايمه اسبابا ولا لفساد الراي عللا وليمض الامور على
مقتضى احوالها قبل الخبرة في ترك الطيرة وليسع ما جرى القضا
وسانه [?] القدر بيد المدبر الامور ومقلب الدهور فما المتطير على شي
يصفو [?] امن وجل ولا عزم يخلوا من فشل ووساوس الشيطان [illegible]
عن نفسه فما جعل الله لما استاثر بعلمه من الغيوب بشيرا
ولا نذيرا وانما وكله الى عقول يتدبرون بها ويعملون بموجبها
ولم يجعل للطيرة فيها حظا وقد قال الشاعر

٢٩ وما جالات الطير تدني من الفتى رشادا ولا عن ريبهن بخيب
وأما الفال فمحمود الأثر مؤنس الخبر لأن فيه تقوية الآراء وتقوية
العزائم فصار نفعه في موافقة الرأي على ضد الطيرة في مخالفة الرأي
فلذلك ندب إلى الفال ومنع من الطيرة فقد تفال رسول الله صلى الله عليه
في غزواته وحروبه ولم يتطير فافترقا في النص والتعليل وتخالفا
في المدلول والدليل. قيل لا تحركن من الأمور ما كان ساكنا ولا تظهر
منها ما كان كامنا فتعجل الحتف بالحذر وتقدم بادرة الخطر وليترك
الأمور على مطاويها للدعة ومجاز السلامة ما لم يغلبه اضطرار ولا
تسقه إليه اقتدار. وقد قيل في منثور الحكم لا تفتح بابا يعييك
سده ولا ترم سهما يعجزك رده ولا تفسد أمرا يعييك إصلاحه
ولا تغلق بابا يعجزك افتتاحه. قال الشاعر.

إياك والأمر الذي إن توسعت موارده ضاقت عليك المصادر
فما حسن أن يعذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذر

لا يحسن بالملك أن يأمر بالمعروف إلا بعد فعله ولا ينهى عن منكر
إلا بعد تركه ولا يلوم أحدا فيما لا يلوم عليه نفسه ولا يستقبح منه
ما لا يستقبحه من نفسه ولا يأمرهم بالبر بما لا يأمر به نفسه فإن
الناس على شاكلة ملوكهم يجرون وبأخلاقهم يستنون لأنهم أعلام

منبوعة ومناهج مشروعة ٥

قال بعض الحكماء

اصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعا لك وقال المامون اسوس الملوك من ساس نفسه لرعيته فاسقط عنه مواقع حجتها وقطع مواقع حجته عنها ٥

قال بعض الحكماء

افضل الملوك من ابقى بالعدل ذكره واستعمله الناس بعده والملك الفاضل هو الذي حوى الفضايل وجودها على من دونه حتى يكثر في ايامه ويتجمل بها من لم تكن فيه وجدير بمن امر بصلاح ان يكون احق بفعله وبمن نهى عن فساد ان يكون احق بتركه ولان كان علو القدر لا يزيد تحفظا لم ينقص قال الشاعر

لك الخير لم تفنا عليك ذنوبها ودع لوم نفس ما عليك مليم
وكيف ترى في عين صاحبك القذا وتخفى قذى عينيك وهو عظيم

لا يانف من حق ان لزم ارتجعه ان فاتت فان الرجوع الى الحق اولى من المقام على ما سواه ولا يكون الملك منقادا الى الحق كما كان قايدا اليه اولى من العدول الى باطل قد كان ناهيا عنه

علو وكان

٣٠

وربما منعته الشهوة من الاعتراف بالاهواء واخذته العزة
ان يلين من سواه ويعاند الحق وينبذ واستثقل المحق ورفضه ولم يلحق
حقا فرح ولين طال لسان الملك فلسان الحق اطول ولين وجبت
طاعته فطاعة الحق اوجب

قال بعض الالباء

من خادع الحق خدع ومن صارعه صرع قال الشاعر
متى ما تقيد بالباطل الحق يابه وان قدت بالحق الرواسي تنقد
ولين يجنح لنفسه لمن علم وضوح حجته وطمع عجزه عن ابانته البق
بسلطانه واحمد لزمانه فان كل امرا ما خاطبه باصغر لسانه
ويقبض نفسه عن اقامة الحجة عليه يراعي حق نفسه في ضبط
شهواته فانها من نتائج الهوا المذموم المذهل عن زواجر العقول
فيات منها لم يكن في العقل فسيحا ولا في الشرع محظورا

قال بعض العقلاء

اذا تفرغ الملك للهوى تفرعت الرعية لفساد ملكه ومن
اثر اللهو ضاعت رعيته ومن داوم السكر فسدت رويته وليقف
في مباح الشهوات على حد معتدل بين منزلتين منفاتين
منع وتمكين ليصل بالتمكين الى لذته ويقف بالمنع على مصلحته ولان

يميل الى الملك فيتوفر على سياسته خير من ان يميل الى التمكين منهمك
في لذته لان زمان السياسة جد وزمان اللهو هزل والجد حق
والهزل باطل والقيام بالحق اولى من الاهمال في الباطل

قال بعض الحكما

من قوي على نفسه تناهى في القوة ومن صد عن شهوته بالغ في المروة
وربما اختص بعض الملوك في اللذات بما يحظره على من سواه ليتفرد
باللذة كما يتفرد بالسيادة ويانف ان يشاركه فيها من لا يساويه
في الرتبة فيخالف عدل السياسة وصواب التدبير لانه يوغر الصدور
ويبعث النفور لما جبلت عليه القلوب من بغض من استبد واستاثر
وتوقع الغير من استباح ما حظر وربما عجل بالعقوبة لان نوازع
الشهوات تبعث على التوصل اليها بكل حق وباطل فيصير الحظر في
حظرها مكدرا للذة استباحتها ولو اباح ما استباح كان اصفى للذته
واسلم في عاقبته فليكن ما استباحه من اللذات مباحا للعموم
ولو اطاعته نفسه على ان يتبعها من اللذات التي لا يتفرد من دونه
عليها كان ابلغ في استعطاف القلوب وطمس العيوب كتب
الاسكندر الى معلمه يستشيره في تدبير ملكه فكتب اليه في
جملة رسالته لا تتناول من لذة العيش ما يمكن اوساط اصحابك

ساول

تناول مثله فليس مع الاستبداد محبة ولا مع المواساة بغضة لكن
من داب الملك تهذيب نفسه لسبر اخلاقه وتصفح احواله وافعاله
فانه لا يجبه عليها بانكار وان استنكرت ولا يواجه عليها باكبار وان
اكبرت ولا يسمع لها بذم وان ذمت ولا يلقى فيها الا باد ورضيه
من سداد محتلها وصلاح معتلها فان ترك نفسه وهو متروك
محتشم واهلها وهو مطاع معظم قاده الهوى عن القدرة الى مساوى
الاخلاق وسافه الاهمال والمشاركة الى قبائح الافعال

قال بعض الالباء

من عمل عملا في السر يستحيي منه في العلانية فليس لنفسه عنده
قدرة فيهذب الملك نفسه نفسه ويستعين في صلاحها بحزمه
ويراقب وليه كما يراقب عدوه ولا يحدث له الثقة والانسة
والاسترسال ترك التحفظ عند وليه او نسيب فمن عرف منهم زلته
استقل هيبته وقد يصير الموالي المونس عدوا او موحشا فيتم بما علم

قال بعض العلماء

لتكن استحياؤك من نفسك اكثر من استحيائك من غيرك وقيل ما احببت
ان تسمعه اذناك فاته وما كرهت ان تسمعه اذناك فاجتنبه فهذه
جملة كافية في اخلاق الملك الرشيد والله ولي التوفيق والتسديد

الباب الثاني

في سياسة الملك

قال اقضى القضاة رحمه الله حق على من مكنه الله تعالى من ارضه وبلاده وائتمنه على خلقه وعباده ان يقابل جزيل نعمه بحسن السيرة ويتحرى في الرعية جميل السير قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى وقال عز وجل ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك وروي عن النبي صلى الله عليه انه قال من سار فيمن بين ظهريه بسيرة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة من غير ان ينقص من اجورهم شي ومن سار فيمن بين ظهريه بسيرة سيئة كان عليه وزرها ووزر العاملين بها الى يوم القيمة من غير ان ينقص من اوزارهم شي وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال لو ضاعت سخلة على شاطي فرات لخشيت ان يسالني الله عنها وحكي ان عثمن بن عبد الله وقف على محمد بن سماعة القاضي وهو في مجلس قضايه يحكم بين الناس فقال

اسمع لا سمعت يا ابن سماعة ما اقول

لئن كلفت يا مسكين امرا تضيق له قلوب الخائفينا

لتعلم ان رب العرش قاض وتقضي انت بين العالمينا

فقام ابن سماعة من مجلسه ودموعه تجري على خده فليس احد بالحذر
والاشفاق واولى بالنصب والاجتهاد ممن يقلد امور الرعية لانها
امانة الله التي امنه عليها ورعيته التي استرعاه فيها واستخلفه على
امورها وهو تعالى ولي السوال عنها ولانه سبحانه حسم مواد
الاعتراض منها على افعاله وكف السنتها عن رد ما راه في اجتهاده
واوجب عليها طاعته والزمها الانقياد لحكمه وامرهم ان يصيروا قرابين
امره ونهيه فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم وجعل صلاح جماعتهم بصلاحه
وفساد امورهم معقودا بفساده لانه قلب وهم اطراف وقطب وهم الة

قال بعض العقلاء

رشاد الوالي خير من خصب الزمان وارشد الولاة من حرس بولايته
الدين وانتظم بنظره صلاح المسلمين لان الدين يصلح سرائر القلوب
ويمنع من ارتكاب الذنوب ويبعث على التاله والتناصف ويدعو الى
الالفة والتعاطف وهذه قواعد لا تصلح الدنيا الا بها ولا ينتظم
للخلق الا عليها واما السلطنة فزمام لحفظها وباعث على العمل بها
ولو اهملوا او نوازع الاهوا جاذبة واختلاف الآرا متقابلة لمارجوا

ويعتبروا وليعرفوا حق من باطل ولا يميزوا صحيح من فاسد وليس في
العقل ما يجمعهم على حكم يتساوون فيه قويهم وضعيفهم ويشتركا
فيه شريفهم ومشروفهم فلذلك وقفت مصالحهم على دين يقودهم
الى جمع الشمل واتفاق الكلمة وينقطع به تنازعهم وتنحسم به مواد اطماعهم
واختلافهم ويصلح به سرايرهم وتحفظ به اماناتهم وربما اهمل
بعض الملوك الدين وعول في امره على قوته وكثرة اجناده وليس
يعلم ان اجناده اذا لم يعتقدوا وجوب طاعته في الدين كانوا
اضر عليه من كل ضد مباين لاقدامهم عليه بما لا يستقيم به وتحكمهم
عليه بما لا يثبت له فان سمعوا بنابغ ينبغ عليه قوي طمعهم في
اجتياح امواله ولم يمنعهم استصعاب حاله وكان منهم على شفا
جرف هار لا يامن سطوتهم به وقد قيل من جعل ملكه خادما
لدينه انقاد له كل سلطان ومن جعل دينه خادما لملكه
طمع فيه كل انسان

فصل ينبغي للملك ان يانف من ان يكون في رعيته من هو افضل
دينا منه كما يانف ان يكون فيهم انفذ امرا منه وقال اردشير بن
بابك في عهده الى ملوك فارس ان الدين والملك توأمان لا قوام
لاحدهما الا بصاحبه لان الدين اس والملك حارس ولابد للملك

من اسّه ولا بدّ للاسّ من حارسه لان ما لا حارس له ضايع وما لا اسّ
له منهدم وكتب حكيم الروم الى الاسكندر ادفع عن دينك
بملكك ولا تدفع بدينك عن ملكك وصيّر دنياك وقاية لاخرتك
ولا تصيّر اخرتك وقاية لدنياك وكيف يرجو من تظاهر باهمال الدين
استقامة ملك او صلاح حال وقد صار اعوان دولته اضدادها
وساير رعيّته اعداها مع فجح اثره وشناعة ضرره ولذلك قال النبي
عليه السلم ستحرصون على الامارة ثم تكون حسرة وندامة يوم القيامة
فنعمت المرضعة وبيست الفاطمة وقد قيل الملك خليفة الله في
بلاده ولن يستقيم امر خلافته مع مخالفته فالسعيد من وفّى الدين
بملكه ولم يوفّ الملك بدينه واحيا السنّة بعدله ولم يمتها بجوره
وحرس الرعيّة بتدبيره ولم يضعها بتدميره ليكون لقواعد ملكه
موطّدا ولاساس دولته مشيّدا ولامر الله في بلاده ممتثلا فلن
يعجز الله استقامة الدين عن سياسة الملك وتدبير الرعايا

فصل

ثم اقول ان قواعد الملك مستقرة على امرين سياسة وتأسيس فاما
تأسيس الملك فيكون بتثبيت اوايله ومباديه وارساء قواعده
ومبانيه وينقسم ثلثة اقسام تأسيس دين وتأسيس قوة

6 وتاسيس مالٍ وثروة   فاما القسم الاول وهو تاسيس الدين فهو اثبتها
قاعدةً وادومها مدةً واخلصها طاعةً وليس يخلو انتقال الملك
به من ثلثة اسباب احدها ان يخرج الملك من منصب الدين حتى
يتولى عليه غير اهله ويظفر منه بخلاف عقد فيقبض منه النفوس
ان لان ويعتقد انه ان خشن وتغضبه القلوب وان طاعته اجبار
فيتطلب الناس الخلاص منه اسبابا ويتحينون للوثوب عليه
ابدًا يستسهلون فيها بذل النفوس والاموال لحفظ الدين
بتغيير ملكه عرضةً للطالب وحرمه غنيمةً للسالب   وقد قال
حكيم الروم لا يزال الجائر من الملوك ممهلا حتى يتخطى الى
اركان العمارة ومباني الشريعة فاذا اقصدها [illegible] مدته
والسبب الثاني ان يكون الملك ممن قد استهان بالدين
وهو من اهله فاهمل احكامه وطمس اعلامه حتى لا يؤدي
فروضه ولا يؤدي حقوقه   اما لضعف عزيمته في الدين واما لاهماله
والثالث ان يرى الناس ان الدين بغيره اهم وحقوقه وفروضه
الزم فيصير دينه مدخولا وملكه محلولا

قال بعض الحكماء

اذا اقبلت الدولة خدمت الشهوات العقول واذا ادبرت

خدمت العقول للشهوات   والسبب الثالث ان يكون الملك
ممن قد احدث بدعة في الدين شنيعة واخترع فيه اراء شنيعة
يقتضي استقرارها الاستبداد به ويؤول الى تغييره وتعطيله فتابا
نفوس الناس تغيير دين قد صح لهم معتقده واستقرت في القلوب
اصوله ويعود اعلى بتغيير دينه مبغوضا وملكه منقوضا فاذا طرا
على الدين هذه الاسباب الثلثة نهض بطلب الملك من يقوم
بنصرة الدين ويدفع تبديل المبتدعين ويحمي فيهم على السنن
المستقيم اذعن له النفوس بطاعته واشتدت في موازرته
ونصرته ورا ان بذل النفوس له من حقوق الله المفترضة
وان النصرة له من اوامره الملتزمة فملك القلوب والاجساد وتملك
الاعوان والاجناد فان نال واحدة من الدنيا حظا وجمع ابه بين
صلاح الدين والدنيا صار محفوفا بالملك لا جاذبا ومرغوبا
اليه لا راغبا ولان له كل صعب وهان عليه كل خطب ووطد له من
اس الملك ما لا يقاوم سلطانه ولا يفل اعوانه لفرق ما بين
ملك الطالب والمطلوب وتباين ما بين طاعة الخاطب والمخطوب
واما القسم الثاني وهو تأسيس القوة فهو ان يختل نظام الملك
اما بالاهمال والعجز واما بالظلم والجور فيتاهب لطلب

الملك اولوا القوة ويتوثب عليه ذو القدرة اما طمعا في الملك
حين ضعف واما دفعا للظلم حين استمر وهذا انما يتم لجيش
قد اجتمعت فيهم ثلث خلال كثرة العدد وظهور الشجاعة وتفويض
الامر الى مقدم عليهم اما بالسبب وابوة واما لفضل راي
وشجاعة فاذا اثبتوا على الملك بالاثرة واستولوا عليه بالقوة
كان ملكهم وان عدلوا مع الرعية وساروا فيهم بالسيرة
الجميلة صار ملك تفويض وطاعة فيستقيمون وان
جاروا وعسفوا فهي حوزة توثب ودولة تغلب يبيدها الظلم
ويزيلها البغي بعد ان يهلك بهم الرعايا ويخرب بهم البلاد
واما القسم الثالث فهو تاسيس المال والثروة فهو ان يكثر
المال في قومه فتحدث لهم بعلو الهمة طمعا في الملك وقل ان
يكون هذا الامر الا فيمن له بالسلطنة اختلاط وباعوان
الملك امتزاج فينبعث مطامع الراغبين فيه على طاعته وتسليم
الامر اليه لزعامته ويبعد ان يتم ذلك الا عند ضعف الملك
ووهن ايه وفساد اعوانه وزعمائه وقيل في منثور الحكم
المال يسود غير السيد ويقوي غير الايد فاذا انتقل
به الملك كان اوهى الاسباب قاعدة واضرها ابنية لان المال

ينفد

35 ٤٠

٣٥

تفيد مطامع طالبيه ويذهب بافتتاح الراغبين فيه وقد قيل من
وذلك لامر ولى مع انقضايه قال سليمن بن داود عليه السلم النبي
يتوكل على غنايه سقوطه سريع فان افترق بسبب ينقضي بنوك
الملك والاهو وسبك الزوال سريع الانتقال واعلم ان الدولة
تبتدى بخشونة الطباع وشدة البطش لتسرع النفوس الى بذل
الطاعة ثم تتوسط باللين والاستقامة لاستقرار الملك
وحصول الدعة ثم تختم بانتشار الجور وشدة الضعف لانتشار
الامور وقلة الحزم وبحسب هذه الاحوال الثلثة يكون ملوكها
في الاراء والطباع وقد شبهت المتقدمون الدولة بالثمرة
فانها تبدو واحسنه الملمس مرة الطعم ثم تدرك فتلين
وتستطاب ثم تنفتح فتكون اقرب للفساد والاستحالة وكما
تبتدى الطاعة الدولة بالقوة وتختم بالضعف كذلك تبتدى
بالوفاء وتختم بالغدر لان الوفا سجية والغدر مستزيد

فصل

القواعد ٤

واما سياسة الملك بعد تأسيسه واستقراره فيشتمل على اربعة
قواعد وهي عمارة البلدان وحراسة الرعية وتدبير الجند
وتقدير الاموال فاما القاعدة الاولى وهي عمارة البلدان

فالبلاد نوعان مزارع وامصار فاما المزارع فهي اصول المواد التي
تقوم بها اود الملك وينتظم بها احوال الرعايا فصلاحها خصب قرا
وفسادها جدب وجلا وهي الكنوز المدخورة والاموال المستمدة
واي بلد كثرت ثماره ومزارعه استقل بخيره وفاض على غيره فصارت
الاموال اليه تجلب والاقوات منه تطلب وهو بالضد ان قلت
او اختلت فلزم مدبر الملك فيها ثلث حقوق احدها القيام بمصالح
المياه التي هو عليها اقدر ولها اقوى حتى لا تنقطع وتعم فلا تمتنع
وليشترك فيها القريب والبعيد ويستوي في الانتفاع بها القوي
والضعيف فان اهملت حتى قلت وتغالب الناس عليها بسطوة وقوة اختل
نظامها وفسد التيامها واشتد منها من استطال وتحكم في الاموال
والاقوات فضيق على الناس لتشفيه وضرهم لمنفعته وصار خصبه
جدبا وخطبه صعبا والحق الثاني عليه ان يحميهم من تخطف
الاتباع لهم وكف الاذى عنهم فانهم مطامع اولي السلاطة وملكة
ذوي القوة ليامنوا في مزارعهم ولا يشتغلوا بالذب عن انفسهم
ولا يكون لهم غير الزراعة عملا لانها لهم صنعة اهملا فليتكروا
من العمارة ويتبعوا في الزراعة فيكونوا عونا وعونا بالمزارع لهم
وقال النبي عليه السلم التمسوا الرزق في خبايا الارض

الخمسة

36 ٤١
٣٦

الزرع والحق الثالث عليه تقدير ما يوخذ منهم بحكم الشرع
وقضية العدل حتى لا يتألمهم في قدرها جوف ولا يجحفهم في اخذها عسف
فانهم لا يميلون الى انصافه الا بعدله لتذعن نفوسهم ببذل
الحق منها طوعا ويكون لهم في تخفيف الكلف عنهم فضلا فان الزمان
باستقامتهم خصب والملك باستقامة امورهم ملتئم فان خيف عليهم
في القدر او عسف بهم في الاخذ انعكس الصلاح بالضد فذانوا
وادانوا وصارت ولاية تقصر تخرج من سيرة العدل والانصاف
ثم هم لاخلالهم واختلالهم من ورائه فورحلا قال سليمن بن
داود عليه السلم اشرب الماء من ينبوعك ولتعز ما وكى في اسوافك
ليكن ينبوعك مباركا قال بزرجمهر من عمر بيت المال
من ظلم رعيته كمن طين سطحه من قواعد بيته. وكتب زياد الى
عماله على السواد احسنوا الى المزارعين فانكم لا تزالوا سمانا
ما سمنوا وأما الامصار في الاوطان الجامعة والمقصود بها
خمسة امور احدها ان يستوطنها اهلها طلبا للسكون والدعة.
والثاني حفظ الاموال فيها من استهلاك واضاعة والثالث
صيانة الحريم والحرم من انتهاك وبذله والرابع التماس ما تدعوا
اليه الحاجة من متاع وصناعة والخامس التعرض للكسب وطلب المادة

فان عدم فيها احد هذه الامور الخمسة فليست من مواطن الاستقرار
وهي منزل قلعة وفرار قال الزبير بن العوام رضي الله عنه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان البلاد بلاد الله حيث وجدت
خيرا فاحمد الله واقم وحظ السلطان في عمارة البلدان والاوطان
اوفى من حظ رعيته لانه اصلهم فرعه ومتبوعهم اتباعه والذي
يعتبر في انشائها ستة شروط احدها سعة المياه المستعذبة
والثاني امكان الميرة المستمدة والثالث اعتدال المكان الموافق
لصحة الهوى والتربة والرابع قربه مما تدعو الحاجة اليه من
المراعي والاحتطاب والخامس تحصين منازله من الاعدا والذعار
والسادس ان يحيط به سواد يعين اهله بمواده فاذا كملت
هذه الشروط الستة في انشا مصر استحكمت في اعرنا بيه ولم يزل
الانقضا محرمهم واجل معلوم ثم على منشئ المصر في حقوق
ساكنيه ستة شروط احدها ان يسوق احدها ان يسوق اليه
ما الشاربه ان بعدت اطرافه اما في انهار جارية او حياض سايله
ليسهل الوصول اليه من غير تعسف والثاني تقدير طرقه
وشوارعه حتى تتناسب ولا تضيق باهلها فيستضر المارة بها
والثالث ان يبني جامعا للصلوات في وسطه ليقرب على جميع اهله

ويقسم شوارعه لمناهله والرابع ان يقدر اسواقه بحسب
كفايته وفي مواضع حاجته والخامس ان يميز خطط اهله
وقبايل ساكنيه ولا يجمع بين اضداد متنافرين ولا بين اجناس مختلفين
والسادس ان اراد الملك ان يستوطنه سكن منه في افسح اطرافه
واطاف به جميع خواصه ومن يكنفه من امرا اجناده ووفق بافنيتهم في
بقية اطرافه ليكتنفوه من جميع جهاته ويحف اهله بالعدل ويجعل
وسطه لعوام اهله ليكونوا ملكوتين بينهم وليقل ركوبه فيهم حتى
لا يلين في اعينهم والسابع ان يحوطهم بسور ان تباعدوا
او خافوا اعدا حتى لا يدخل عليهم الا من ارادوه والخروج عنهم
الا من عرفوه لانه دار لساكنيه وحرز لمستوطنيه والثامن ان
ينقل اليه من اعمال اهل العلم والصنايع ما يحتاج اهله اليه
حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن غيرهم فاذا قام مستنبطه بهذه الشروط
الثمانية فيه فقد ادى حق مستوطنيه ولم يبق لهم عليه الا ان
يسير فيهم بالسيرة الحسنا ويأخذهم بالطريقة المثلى وقد
صار من اكثر الامصار وطنا واعدلها مسكنا والامصار التي
مصر من ارض سواد مصر فرضه وبحارها ما عمر المزارع والسواد
فهذا اشد المصرين اهلا واحسنها حالا واولاها استيطانا

لوجود موادّه فيه واقساط اصولها منه ومن شرطه ان يكون
في وسط سواده ومن جميع اطرافه حتى تعتدل موادّ منها ويتساوى
طرفه اليها وهو موفور العمارة ما كان سواده عامرا فان نال
اهله فيه حيف في هضم الحيف في سواده فاضرّوا عنه ودافعوا
من زمانة الحيف ونشأوا وان جار السواد على اهله كان لهم في المصر
امن وملاذ ويكون كل واحد منهما للاخر معاذ واما مصر
الفرضة والتجارة فهو من جمال الاقليم وزينة الملك لانه مقصود
بتحف البلاد وطرف الاقاليم فلا يعوز فيه مطلوب ولا ينقطع عنه
مجلوب والمعتبر فيه ثلثة شروط احدها ان يتوسط امصار
الريف ويقرب من بلاد المتاجر فلا يبعد على طالبه ولا يشق على
قاصده والثاني ان يكون على جادة تسهل مسالكها ويمكن نقل
الاثقال فيها اما في بحر او على ظهر فان توعرت مسالكه
واحزنت معاقله عدل الناس عنه الى من يرونه والثالث ان
يكون مامون السبل لاهل الطرقات خفيف الكلف قليل الاثقال
فانه ليس ياتيه الاجالب مختار يطلب من البلاد احداها ومن
المسالك امنها واوطاها فان تعذر هجر وهذان المصران طالبا
والاشهر هما في الاقاليم ذكرا وهو معتبر لمطالب الملوك لاموادهم

فان

فان استمدوه وحيفوا بالمكوس والاعشار نفروا عنه وان وجدوا
سواه صار لاهل الضرورات دون الاختيار ولا دوام لاوطان الاضرار
ولا يبعد ان يدرس فيلحق المتعطل بالخراب ان لم يستمد ركه سلطانه بتخفيف
واسعاف لان اموال التجار منقلة لا يبقى عليهم حفظها فهم لا يستوطنون
من البلاد اعدلها ويقصدون من المتاجر والمعاملات اسهلها
فان بايديهم وطن فكل البلاد لهم وطن قال الشاعر ؛
وانزل بكل السهل لا تحلل به واذا نبا بك منزل فتحوله

فصل

واما الفئة الثانية فلانهم امانات الله التي استودعه حفظها
واسترعاه القيام بها لا يقدرون على الدفع عن انفسهم الا بسلطانه
ولا يصلون الى العدل والتناصف الا باحسانه وهو منهم
بمنزلة ولي اليتيم المندوب لكفالته والقيم بمصالحه يلزمه بحكم
الاسترعاء والامانة ان يقوم بذلك ويصلح خلله ويحفظ امواله
وينمي موادها كذلك كانه من رعيته في الذب عنهم والنظر لهم والقيام
بمصالحهم فان النفع بصلاح احوالهم عائد عليه والضرر بفسادها
متعد اليه فلن توجد استقامة ذلك فسنبين فيه احوال الرعايا
والذي يلزم الملك في حقوق الاسترعاء عليهم عشرة اشياء احدها

تمكين الرعية من استنباط مساكنهم وادعين والثانية التحبب
بينهم وبين مساكنهم آمنين والثالث كف الاذى والايدي
الغالبة عنهم والرابع استعمال العدل والشفقة معهم
والخامسة فصل الخصام بين المتشاجرين منهم والسادس
حملهم على موجب الشرع في عباداتهم ومعاملاتهم والسابع
اقامة حدود الله تعالى وحقوقه فيهم والثامن امن سبلهم
ومسالكهم والتاسع القيام بمصالحهم في حفظ مياههم وقناطرهم
والعاشر تقديرهم ومن بينهم على اقدارهم ومنازلهم فيما يميزوا به من
دين وعمل وكسب وصيانة فاذا قام فيهم بهذه الحقوق فهي السياسة
العادلة والسيرة الفاضلة التي يستخلص بها طاعة الرعية
وينتظم بها اصلاح المملكة وان اخل بها كان واياهم على ضدها
قال اردشير بن بابك سعادة الرعية في طاعة الملك
٥ وسعادة الملك في طاعة المالك ٥

قال بعض الادباء

اذا لم يكن في سلطان الملك سرور لرعيته كان ملكه ظلما حتى
ان انوشروان انفذ رسولا الى ملك فذا زمع على مجانبه وامره
ان يعرف سيرته في نفسه ورعيته فرجع وقال وجدت عنده الهزل

اوثق من الجند والكذب اكثر من الصدق والجور ارفع من العدل
فقال انوشروان رزقت الظفر عليه بسؤاله ولكن عملك في
محاربته بما هو اضعف عنده واذل واوضع فانك منصور عليه وهو
مخذول فسار اليه فظفر به واستولى على ملكه **فصل**
واما القاعدة الثالثة وهي تدبير الجند فلان بهم ملك حتى
نهض واستولى على قدر فان صلحوا كانت قوتهم له وان فسدت
صارت قوتهم عليه وبعيد ممن كان معه تضار عليه ان يبغي معه
سندا وتدبيرهم الذي يحفظ عليه طاعتهم ويستخلص به نصرتهم
يكون باربعة شروط ان استكملها صلحوا به واستقاموا له
وان اختل بها فسدوا عليه وافسدوا ملكه احدها تقويمهم
بالادب الذي يحفظ عليه وفور نجدتهم وكمال الجند هو بصلاحهم
بذلك لانفسهم ثم لنفسه ثم لرعيته فاما صلاحهم لانفسهم فيكون
ثلثة اشيا احدها معاطاة ما احتاج اليه اجناد الملوك من
الارتياض بالركوب والخبرة بالحروب لانها صناعة تجمع بين
علم وعمل والثاني اختصاصهم بالجندية وانتصارهم عليها حتى
لا ينقطعوا عنها بكسب سواها فيصيروا مقصرين فيها والثالث
ان يقفوا في اللذات على اعتدال مباح لا يقطعون لبها

فسببهم ولا يبتغون منها بغيرهم واما صلاحهم لنفسه فيكون ثلثه
اشياء احدها ان يستقر محبته في نفوسهم حتى يحبوه والثاني
ان يعظم هيبته في قلوبهم حتى يطيعوه والثالث ان يعتقدوا
ان صلاح ملكه عايد اعليهم وفساده مفسد اليهم واما اصلاحه
لرعيته فيكون ثلثه اشيا ان يكف نفسه عن اذاهم والثاني
ان يذب عنهم من اراداهم والثالث ان يكون عونا لهم على منافعهم
فاذا صح له حالهم على هذا التاديب واستقاموا على هذا
التهذيب كانوا اصلح جند لاسعد ملك كتب الاسكندر الى
معلمه بسبب شدة فكتب اليه تفقد جندك فانهم اعدا بينهم
من اعدا ومعناه انهم اعدا اذا افسدوا واسلمهم من اعدا اذا
صلحوا والشرط الثاني ان يبقوا على حسب عناهم في الحروب
وذبهم عن الملك ومسارعتهم الى الطاعة حتى يعلموا ان
سعيهم مشكورا ونصحهم مدخورا يعتدون به ويجازون عليه
وان ذلك مفض بهم الى ثلاث خصال يصلح بها امورهم ويبطرهم
بها تدبيرهم احداهن ان يزدادوا بهم طاعة ونصحا طلبا
للزيادة في العقد بهم ورغبة في مضاعفة الجزا والثانية ان
يرغب من قصر عنهم او اسا في مثل ما ناله المحسن من منزلته وجزا

فيناسبه في الطاعة ويساويه في المناصحة والثاني ان يكف
المقصر عن طلب ما لا يستحقه ويباعد عن مقام لا يستوجبه ويرضى
بالمقبول ان صغرت همته ويقنع بالتقصير ان ضعفت منته فان
حركته همته لم يستزد ما لم يزد والشرط الثالث ان يقوم كفاياتهم
حتى لا يحتاجوا فان الحاجة تدعوهم الى خصلة من ثلاث لا خير
في واحدة منهن اما ان يتسلطوا على اموال الرعية واما ان يعدلوا
الى من يقوم لهم بالاكفاء واما ان يشتغلوا بمكسب فيهونوا واذا احوج
اليهم لم يغنوا اما بذلوا انفسهم الا لقيامه بكفاياتهم وقد قيل من
وثق باحسانك اشفق على سلطانك ومتى اقتطعهم طلب الكسب
ضعفت في انفسهم رجاؤه وقلت في اعينهم عطاؤه ثم يدر عليهم
العطا فلا يحوجوا الى المطالبة فان المطالب حرى وفي حرمانهم
حزن للحشمة ووهن للهيبة وقلما يختل الملك الا بتبدله لان
بهم يدفع الخطوب الملمة فاذا كانوا هم الخطب الملم فمن يدفعوا
الا باللطف والارضا فهم كالمثل السائر في قول الشاعر
بالملح يصلح ما يخشى تغيره فكيف بالملح ان حلت به الغير
وقد كان ابرويز العضد في اعطايهم مقدار الكفاية اولى من
التوسعة عليهم بالزيادة لان الزيادة تؤذيهم الى احدى خلتين

مذمومتين اما الى تمرن فيها في الفساد ليفسدوا واما الى الاستغنا
بها فيتباعدوا حكى ابن قتيبة ان ابرويز قال لابنه لا توسعن على
جندك فيستغنوا عنك ولا تضيقن عليهم فيضجوا منك واعطهم عطا
قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع لهم في الرجا ولا توسع عليهم في
العطاء والشرط الرابع ان لا ينطوي عنه اخبارهم ولا يخفى عليه امالهم
وهم رعاة دولته وحماة رعيته فان تدلس بعضهم بالقبيح وستر حالهم
للقبيح سرى فيهم لخبث الامور لان الشر اقرب من الخير فالولاة
واما الولاة فلهم ثلاث آفات خطره يفسخ في صلاحهم ويمنع من
فلاحهم احداهن ان يركنوا الى زمان السلامة والمسالمة ويستثقلوا
مدة الدعة لترافههم وفتور اسبابهم فيحملوا الفتق الذي ولتسا با
ويبغوا المحاربة العدو او يتوصلون بها الى مطامع
حسمها السلام والدعة فان استدرك عن ايامهم والا فهو الخطب
الاصم والفدح الاعم والثانية ان يتوصل العدو الى استمالتهم
لفرصة الغفلة عنهم فاذا بعثه الهيبة اليهم بكنه الخطو سهام
الرغائب ما يحد تطرفكم واصطلم ومال به ما حتكم والثالثة
ان ينبهم الاقتدار على التسلط ويغرهم الاعمال الى التسلط او ولا
للسلطنة فلا يغفوا ابدا عن ارادة يتملكوا بها الامور الـ

ويت

وليستناصلون بها الاخرى الى ملكوتهم الرزايا ويملك بهم الرعايا ويكون اصلق
بالملك من كل متقلب وازكا فيه من كل متوثب وهذه الاحكام واذا
استقرت الا بالزواجر الظاهرة وهي بين الباطنة فليستعن بسفههم
على سقيمهم ان ظفر بتسليم مستقيم والا فالعطب في الفساد
فيجتهد ان يعم فسادهم وهن الملك ثابت فان اسعد القضا بهلا
استدرك ما استانفه بالبحث عن احوالهم المستقلة ولم يغفل عن
صغير لكبير فان كبار الامور تبدو اصغارا كالنار يصير اشعال
قليلها ضرما الا استدرك واصعب ما يعانيه المدبر للدولة
سياسة الملك الجند لان بهم بعضهم حتى يسوس واذا عجز
فسادهم صار مقهورا وان ساسهم بحزمه حتى انقادوا كان
لهم بالقوة سلطانا وكانوا له بالطاعة اعوانا وقد قيل من علامات
الدولة قلة الغفلة ٥

فصل

واما القاعدة الرابعة وهي تقدير الاموال فلانها المواد التي تستقيم
الملك بوفورها ويختل بقصورها وتقديرها على الملوك مستصعب
لانهم يرون بفضل القدرة بلوغ كل غرض ودرك كل مطلب فان وصلوا
اليه بالاسهل الالطف والا توصلوا بالاصعب الاعنف وان

استباحوه شرعًا والا ارتكبوه محظورًا كابدوا عسوله فان اقاموا
بفضل الحزم على السياسة العادلة حتى وقفت بهم القدرة على تقدير
الاموال ان يعتبر بما استدام حصوله وليسهل وصوله ولم يحتج معه
الى الناس معونة وارتياد مغنم اعتدلت بهم الكسوة وتعدلت
مطالبهم فلم يعجزوا عن حق ولم يتعدوا الى باطل وكان الظافر
بهذه الحال منهم هو الملك السعيد ورعيته به اسعد الرعايا
وكان المقصر فيها على ضدها   قال لي بعض الملوك
وقد توفر على لذته ولام غيره من الملوك عليها وكنت سفيرًا بينهما
اني قد دبرت خرجي بدخلي وجعلت لكل خرج دخلا كافيا واستثنيت
فيه امنا لكفاية واذنت لمن قصر دخله عن خرجه ان يستنقص من غيره
ما يقضيه عند وفور دخله ثم صرفت زمان اشتغالي به الى اللذة
بعد احكامه ونفي شاكلة انتظامه   فان الملك يراد للالتذاذ
به ولو لم افعل هذا لكنت في الاشتغال باللذة ملوما فان كان
هذا الملك مقتصرا على لذته قد احكم ما احكمته انا وان
كان قد اهمله فهو الملوم دوني فقلت له قد رفعت عذرك بذنب
خلصت منه نفسك فجعلته لنفسك عذرًا ولغيرك جرمًا ولعمري
ان المستظهر اعذر من المسترسل واحمد عن استيفا ما نظر فيه

التزاما

الشر اما الحشمة وان كان مجاجه معتلا وعذره محتملا لان قليل
الذكر لا يعتبر قليل العدل وان كان تقدير الاموال فاعدل
تقديرها معتبر من وجهين احدهما تقدير دخلها وذلك مقدر
من احد وجهين اما بشرع ورد النص فيه بتقديره فلا يجوز ان
يخالف واما باجتهاد ولاة الامر فيما اداهم الاجتهاد الى
وضعه وتقديره ولا يسوغ ان ينقص واذا زادت الى الفوائض
المستحقة سميت بالعدل وكان اضعافها بالجور مجحفا والثاني
تقدير خرجها وذلك مقدر من وجهين احدهما بالحاجة
فيما كانت اسبابه لازمة او مباحة والثاني بالمكنة حتى لا يعجز
عنها دخل ولا يتكلف معها عسف ثم لا يخلو حال الدخل اذا قوبل
بالخرج من ثلثة احوال احدها ان يفضل الدخل على الخرج فهو الملك
السليم والتقدير المستقيم ليكون فاضل الدخل معدا للوجوه النوايب
ومستحدثات العوارض فيأمن الرعية عواقب حاجته ويبقى الجند
بظهور مكنته ويكون الملك قادرا على دفع ما طرى من
خطب او حدث من خرق فان للملك فتوقا لا ترتقب وللزمان
حوادث لا تحتسب والحال الثانية ان يقصر الدخل عن الخرج
فهو الملك المعتل والتدبير المختل لان السلطان يفضل القدرة

بين ايالة الاكفاء بحيث يقف دون ما وجب ويطالب بها الاجب وتدعوا
الحاجة الى العدول عن لوازم الشرع وقوانين السياسة الى
حيث يصرفه الى حاجته ويتشوق اليه ارادته فيهمل معه الرعايا
ويتسلط عليهم الاجتهاد وتدعوهم الحاجة الى تيسير ما دعته فلا يمكن
منعهم عن التسلط ولا يتسلط ولا يمنعهم من الفساد وقد افسد
فان استمر ذلك امن بالقمع وساعد اجتهاده على الاستبداد والامالي
عطب ما يؤول الفساد والحال الثالثة ان يتكافأ الدخل والخرج
حتى يعتدل ولا يفضل ولا ينقص فيكون الملك في زمان السلم
مستقلا وفي زمان الحروب والحوادث مختلا فيكون لكل واحد
من الزمانين حكمه فان ساعد القضاء ودام السلم كان على دعته
واستقامته وان تحركت به النوائب كان الاجتهاد وثمه الاعوان
فيجعل الملك ذخيرة نوائبه في مشاهدة الاحوال الاحسان الى
رعيته ويحكم العدل في سياسته ليكون بالرعية مستغنيا وبالعدل
مستغنيا اه **فصل** واصل ما يبنى عليه السياسة
العادلة في سيرة الرعية بعد حراسة الدين وتدبير الاعوان
اربعة الرغبة والرهبة والانصاف والانتصاف
فاما الرغبة فتدعوا الى التألف وحسن الطاعة وتبعث على

الاسعاف

الاشفاق وبذل النصيحه وذلك من اقوى الاسباب في حراسة المملكة
فان فقدها عنهم زال حكمها معهم وتضجروا بالطاعة تعصبا للدول وابوا
وسارعوا الى المعصية عند هجوم نوايب فهو منهم بين نفاق ٤٣
وان ساتروه وبين شقاق وان [illegible] ولا خير فيما تردد بين نفاق
وشقاق ﴿ وقال برويز اجهل الناس من يعتمد في اموره على من
لا يامل خيره ولا يامن شره [illegible] الرهبة تمنع خلاف ذوي العناء
وتحسم سعي اهل الفساد حذرا من السطوة واشفاقا من المواخذة وذلك
اقوى الاسباب في تهذيب الممالك فان زالت عنهم زال حكمها معهم
فلان واشتدوا وهان [illegible] واستسهلوا معصيته واستثقلوا
طاعته وصارت اوامره [illegible] لهوا وزواجره لهوا وقد قيل من امارات
الخذلان حسن الجد واذا [illegible] بين الرغبة والرهبة قادهم الرجا الى
طاعته وسدهم الخوف عن معصيته انبسط فيهم الامل وكرمنه الوجل
فقوي سلطانه واستقام اعوانه

قال بعض الحكماء

من اعرض عن الحذر والاحتراس وبنا امره على غير اساس زال
عنه العز واستولى عليه العجز واما الانصاف فهو عدل يفصل بين
الحق والباطل يستقيم به حال الرعية وينتظم به امور المملكة

فلا ثبات لدولة لا يتناصف اهلها ويغلب جورها على عدلها فان
النذر من الجور يتوثر فكيف به اذا كثر ولو لم يتناصف اهل الفساد
لما ثبتهم فعل الفساد فكيف بملك قد استرعاه الله صلاح عباده ووكل
اليه عمارة بلاده اذا لم يحمل على التناصف والتعاطف ومن حبت فيه
الا هو الجرف وحكمت القوة في منع الحق ان لا يوفا وفي احداث ما
لا ينبغي ان يبقى وتفارج الناس فيها بالتغالب وتمانعوا فيها
بالتطاول والتغاضب هل يثبت بهذا الملك وقد تعطلت هذه
الاصول به صلاح كلا لن يكون الباطل حقا والفساد صلاحا وقد قال
اردشير بن بابك اذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن
الباطل :. قال الاسكندر لحكماء الهند ايما افضل العدل على الطاعة
ام الشجاعة قال اذا استعمل العدل استغني عن الشجاعة ن

قال بعض العلماء

الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم فاخذه بعض الشعراء
فقال في ذلك

عليك بالعدل ان وليت مملكة واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالملك يبقى على الكفر البهيم ولا يبقى مع الجور في بدو ولا حضر
ولا ينفي هذا القول ما قدمناه من اعتبار الدين في قواعد الملك

لان الكفر مذهب باطل والايمان مذهب حق وهما دينان معتقدان
صح احدهما وبطل الاخر وربما ظن من تسلط بالسطوة من الولاة انه
بالجور اقدر وافخر وان اموال بالحيف اكثر واوفر ويخفى عنه ان الجور
مستأصل يقطع قليل باطله كثير الحق في الاجل قريبا زواله يكون
المال وقد قيل في حكم الفرس ستة اشياء لا ثبات لها ظل الغمام ٤٤
وخلة الاشرار وعشق النساء والثناء الكاذب والسلطان الجائر
والمال الكثير وقالوا ان الجور يرفع وعلة هذا صحيحة لان الجور
يدرسه ولا يبقى مع الدارس ما يتوجه الجور اليه والعدل
ثابت الاصول دائم الفروع مكثر القابلين فهو كالغرس في الارض
يعلو شجره ويتوالى ثمره والجور مستأصل لما انشاه العدل فلا يبقى
له اصلا ثابتا ولا فرعا نابتا ثم الانصاف استثمار والعدل استكثار
فيه بالانصاف يستثمر وبالعدل يستكثر وما نقص ملك من انصاف
ولا جاه من اسعاف وهما الفرقدان وقد فرق ما بين العدل
والانصاف في الحقوق الخاصة وليس يخفى ان هذا الفرق من
الاشتراك في الحق كما ان مثله يكون فرق ما بين الجور والحيف ولا يمنع
من الاشتراك في الباطل وقد قيل من عدل في سلطانه استغنى عن
اعوانه وقال جعفر بن يحيى ما استغزر المال بمثل الجور واما الانصاف

فهو استيفا الحقوق الواجبة واستخراجها بالايدي المعتاد له
فان فيه قوام الملك وتوفير امواله وظهور عزمه وتشييد قواعده
وليس في العدل ترك ما لمن وجهه ولا اخذ من غير وجهه
بل هذا الامر بين عدلا لا استقامة للملك الا بهما وكان الانصاف
عدلا في حقوق الرعية كذلك الانصاف عدلا في حقوق الملك
ولما كان الحيف في حقوق الرعية قبيحا كان الحيف في حقوق
الملك افحش لان يده اعلا ونفع ماله اعم فان لم ينصف لعجز كان ذلك
من وهاء ملكه وان لم ينصف لاهمال كان ذلك من ضعف
سياسته وان لم ينصف لترك كان ذلك من تبديره وسرفه الا ان
يكون عن موجبه يندب الى مثله لا يخرج عن قانون السياسة
وهو منها وليس يعلم فيلام فاذا ذهبت الاموال اموال الملك
باحد هذه الاسباب القاطعة لمواده نالت الرعية الرجا واشتد
فيه الطمع وصار على شفا جرف ان صدمه خطب او قارعه صندد
فلجته الحوادث اذا ترك ما يستحق الا ان ياخذ ما لا يستحق
فيصير في الترك جايرا على ملكه وفي الاخذ جايرا على رعيته
فلا ينفك في الحالين من ان يكون خاطيا ملوما وجايرا مذموما

قال بعض البلغاء

7

لا يستغني الملك عن الاناة ولا الاناة عن الافضال ولا الافضال عن
المال ولا المال عن العدل فان التدبير لا يتم الا بالاناة
بغير الافضال متسلطون والاتصال بغير المال متعذر واجتماع
المواد بتسليط العدل وفي تسليط القهر حجرة البقاء وبالملك
45
في هذا العذر بطلان العدل فانه من قواعد الملك لانه لو يجد
صلاحا كان الجور عليه وجود ولا افسادا كان العدل عليه طهور
وانما يجتذب عليك الاصول نظايرها ولاستقامة الملك بهذه
القواعد الاربع ثلثة شروط احدها ان يقسمها على الحد المقصود
ويتناهى فيها الى العرف المعهود فان تجاوزه مسرفا او مقصرا
كان باللوم حقيقا فان الزيادة في الرغبة تصنع والزيادة في الرهبة
سلاطة وكذلك النقصان منهما يكون على ضدهما والثاني ان يستعملها
في مواضعها ولا يعدل بالرغبة الى موضع الرهبة ولا يستعمل
الرهبة في موضع الرغبة فيصير تاركا الرغبة والرهبة وقد تلف
عنا ضاعت مغارمه وبطلت مغانمه فهو كآكل الطعام من
الظما وشارب الماء من الجاعة لا يروى بما اكل ولا يشبع بما شرب
ثم هو على رجا من ضرره وحذر من خطره ومن احسن المتنبي في قوله
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندا

قال بعض الحكماء

من شرائط السلطان الرضا عن بعض من يستوجب السخط والسخط
عن بعض من يستحق الرضا والثالث ان يتحرى بها زمانها ويوقع
اياها حتى لا تضيع الرغبة والرهبة ان قدمهما ولا يفوتا ان اخرهما
وان فعل ذلك في غير زمانه كصلاح المريض في غير اوانه لا يقع
من الانتفاع موقعا ولا يكون العمل فيه الا ضائعا وقد قيل من اخر
العمل من وقته فليكن على ثقة من فوته ولسبب ذلك في وقته
انفع من كثيره في غير وقته وربما ضر كالمستشفي بالدواء في الصحة
وان كان نافعا في المرض واذا صادف بالرغبة زمانها ووافق
بالرهبة اوانها اسعد بحزمه وحظي بعزمه وطبق مفاصل اغراضه
وبلغ كنه مراده

فصل

وليعلم الملك انه لا استقامة له ولرعيته الا بتهذيب اعوانه
وحاشيته لانه لا يقدر على مباشرة الامور بنفسه وانما يستنيب
فيها الكفاة من اصحابه لان سياسات الملوك معقودة في مباشرتهم
لها على امرين احدهما تدبير الامور الجمهور بارائهم والثاني
استنابة الكفاة في تقليدها على ارادهم وما سوى ذلك فالاعوان

هم كهمّا شرفاً وزعماً القيام بأعوانها وقد شبّه المتقدمون
السائس المدبّر للمملكة في السلم والحرب بالطبيب المدبّر للجسد
في حفظ الصحة وعلاج الامراض البدنية في بطشه بالجند والأعوان
والرجلين للراع والظهر والعينين بالحجاب والجيش والاذنين
بأصحاب البريد والأخبار واللسان في نطقه بالوزراء والكتاب ٤٦
والاعضاء المجاورة في القلب بحاشية الملك على طبقاتهم في القرب
والبعد وحاجة الخاصة للعامة في الاستخدام كحاجة الاعضاء
الشريفة الى التي لست بشريفة لأن بعض الامور لبعض سبب
وعوام الناس لخواصّهم عدة وبالتلاصق منهم الى الآخر حاجته
واذا كانت اعوانه منه بمنزلة اعضائه التي لا قوام للجسد الا بها
ولا يقدر على التصرف الا بصحتها واستقامتها وجب عليه تقويم عوجهم
واصلاح فاسدهم ليستقيموا فيستقيم الملك بهم كما لا يستقيم ابن آدم الا
باستقامة اعضائه من جسده قال النبي عليه السلام العينان دليلان
والاذنان قمعان واللسان ترجمان واليدان جناحان والارجل
والطحال نفس والكليتان مكر والقلب ملك فاذا صلح الملك
صلحت الرعية واذا فسد فسدت الرعية فتشابهت اعضاؤه في
حق نفسه بحواشيه في حق ملكه ومن لم يستقم منهم من عوجه

بعد التقويم والآلة عن زيغه بعد التهذيب كان الباله منهم
اسلم لبقيته اعوانه كالسلع التي تقطع من الجسد قال بهمن
اعتمد على كفاة السو لم يخل من راي فاسد وظن كاذب وعدو
غالب واصل ما بني عليه قاعدة امره في اختيار اعوانه وكفاته
ان يختبر اهل مملكته ويسبر جميع حاشيته بتصفح عقولهم وآرائهم
ومعرفة هممهم واخلاقهم حتى يعرف به باطن سرائرهم وما يلايم كامن
شيمهم فانه سيجد طباعهم مختلفة وهممهم متباينة وفهمهم متفاضلة
وقد قيل الهمة رايد الجد فيعرف كل واحد منهم ما طبع عليه من خلق
وتكاملت فيهم الالة وخصصت به من همة فلا تهمل احوال البلاء تجريب
اعتبارها في كل مستكفي وهي الخلق والكفاية والهمة فلا تعطى احدهم
منزلة لا يستحقها بالنقص او خلل ولا يتمكنه امر ولا يبتليه ولا ينهض
بها لعجز او تقصير فاهم الآلات المملكة فاذا اختلت كانت تابعها مختلا
وفعلها معتلا . قيل لبزرجمهر كيف اضطربت امور الساسان وفيهم
مثلك قال لانهم استعانوا باصاغر العمال على اكابر الاعمال فآل امرهم
الى ما آل . وقيل في منثور الحكم من استعان باصاغر رجاله على
اكابر اعماله فقد ضيع العمل واوقع الخلل وقيل من استودع غير كاف
خاطر بملكه ومن استشار غير امين اعان على هلكه وقد

استرب الى غير ثقته صنيع سره ومن استعان بغير مستقل افسد امره
ومن ضيع عاقلا دل على ضعف عقله ومن اصطنع جاهلا اعرب
عن فرط جهله قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
لا بد للناس من راع يدبرها فكيف بالناس ان كان الولاة وال
٤٧ وان اضيف الى الاذناب امورهم دون الرؤس ثم نحوها الى السفال
وكما انه لا يزيد احدهم على قدر استحقاقه فكذلك لا ينقصه عن
المنزلة التي يستحقها بكفايته ويستوجبها بكمال آلته ويزيد اليها
بعلو همته ونفاذ كفايته وبطول التجربة ويبصره بالآفة من عمله ومؤونة
وباستقلاله واضطلاعه متى اتانا بمثل ما عمل امثاله كما احتمل عمل
العاجز بنفسه فتبين الكمال فيه نقصانا في عمله والكفاية فيه
عجزا في نظره واذا وافق بهم قدر استحقاقهم وصرف اعيان العمال
في اكابر الاعمال والعاجزين منهم في اصاغرها استقلت اعماله
واستقام عماله وان يساء الحال بالامين الورع ولا امان العمل البصير
وبالسياسة معروف ونبه صدا على ايثاره حتى يوافق قدر استحقاقه
صعب الاعمال من كان صائب الفكر حسن الفطنة صادق الفراسة
ثم يساعده القضاء في تقديره واعانة التوفيق في تدبيره وان
كان نفيس الجوهر نجيب الفنا باستعدادها وانما هي اقسام

جوهرها قذر محتوم وساقها حظ مقسوم قال بزرجمهر يجب للعاقل
ان لا يجزع من جفاة الولاة وتقدم الجهال عليه اذا كانت الاقسام
لم توضع على قدر الاخطار وان حكم الدنيا ان لا يعطى احدا ما يستحقه
لكن يزيده او ينقصه وليحذر الملك تولية احد لشفاعة شفيع او
لرعاية حرمة اذا لم يكن مضطلعا بثقل ما ولي ولا ناهضا بعبء ما استكفي
فيختل العمل لعجز عامله ويفتضح العامل بانتشار عمله فيصير الحزم بهما
مضاعا والهوى فيهما مطاعا ولتقض حقوق الحرمة باموالهم في
معونتهم وتقريبهم منزلتهم ففيهما حفاظ وحزم او قد سلمت
اعماله من خلل العجز وضياع التقصير

قال بعض الحكماء

من قلد لذي الرعاية ندم ومن قلد لذي الكفاية سلم قيل في حكم الفرس
لا تستكفين مخدوعا عن عقله من بلغ به قدره الا استحقه وابنيه
تولاها لا لسبق حيه وعلى هذا الاعتبار لا يورث الابنا منازل
الآبا اذا لم يناسبوا في الشيم والطباع كما لا يرث الاشرار مراتب
الاخيار ولا يستعمل في الكتبة من كان ابوه كاتبا اذا كان هو غير
كاتب فان احب مكافاة واحد من هولاء لحقوق آبائهم كافاه بما قدمناه
من المال والتقريب دون الولاية والتقليد ليكون قاضيا لحقوق

بما له ولا يكون فاضلاً لحقوق ملكه حكي انه كان على باب
كسرى ساجة عليها مكتوب العمل للعمارة وقضاء الحقوق على بيوت
الاموال ومن راه قد تصدى للمعالي وليس من اهلها وقد تطاول
للرتب ولم يوهل لها فلا باس باستكفايه اذا كان على ما تصدى له مطيقا
٤٨ ولما تطاول له مستحقا اذا اعنته الهمة وساعدته الالة فلا سبيل
الى اجتبا الاولاد حبا على الابد وقد قيل من فاته حسب نفسه لم ينفعه
حسب ابيه وعُيّر رجل بسقوط نفسه فقال سقوط نسبك اليك انتهى
ولسببي منى ابتدا قال ابو تمام الطائي

اذا ما شئت حسن الحلم منك وصالح الادب
فمن شئت كن فلقد فلحت بالكرم النسب
فنفسك قط اصلحها ودعني من قديم اب

وحكي في سيرة الاكاسرة ان بعض ملوكهم مر بغلام يسوق حمارا
غير منبعث وهو يعنف عليه بالسوق فقال يا غلام ارفق به فقال ايها
الملك في الرفق به مضرة عليه وفي العنف به احسان اليه قال
وما في الرفق به من المضرة قال يطول طريقه ويشتد جوعه قال
وما في العنف به من الاحسان قال يخف حمله ويطول اكله فاعجب
الملك كلامه فقال قد امرت لك بالف درهم قال رزق مقدر وواهب مأجور

قال وقد امرت باثبات اسمك في حشمي قال اكفيت مؤنة ورزقت
معونة قال لولا انك حدث السن لاستوزرتك قال لن يعدم
الفضل من رزق العدل قال فهل تصلح لذلك قال انما يكون الحمد
والذم بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها فاستوزره
فوجده ذا راي صليب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق
ولعمري ما يتكامل للملك الظفر بكفاة اعماله لكثرة الاعمال وقلة الكفاة
فاذا ظفر بذي الكفاية لمنصب اغتنمها ولم يعطلها وان استغنى
في الحال عنها فانه لا بد ان يحتاج اليها ليكون ذخر الحاجة
ومعقد الطوارق كما لا يضيع امواله اذا استغنى عنها ويعدها
ذخر الحاجة والكفاة اعوز من الاموال والاموال اوجد من
الكفاة وبهم تجتذب الاموال وتستنجح الاعمال وانما تراد الاعمال
للكفاة دون النسب وان كانت الكفاية هي النسب وحسب
صاحبها ما يبلغ به اذا ساعده الجد وان كانت الكفاية من الجد

فصل في منثور الحكم

من علامة الاقبال اصطناع الرجال وان نبت النفوس من
هجوم نعمته ولم تذعن بالانقياد لطاعته وطئ له النفوس من بعد تجنبه
فيها الى بغية بعد بغية حتى يصل الى الكفاية من اوفر مراتبه

ولا تسخو منه النفوس اذا دارقاها ولا تنفق عن الطاعة له اذا علاها
لتكون على عمله معانا والعمل بتدبيره فيه مصابا فما احد تحم الاعن
عمض ولا ارتفع الاعن خفض ولا تقدم الامن تاخير ولا كمل
الاعن تقصير ومن خبر الزمان لم يستجهل اخباره ولم يستهول ٤٩
اثاره وقد قال النبي عليه السلم الناس بازمنتهم اشبه وبالملك
اشد الحاجة ان يتفقد اربع طبقات لا يستغني عن تفقد احوالهم
بنفسه لانهم عماد مملكته وقواعد دولته ليستكفيهم وهو على
ثقة من سدادهم وامانتهم ويستعملهم بعد علمه بكفايتهم ونهضتهم
فالطبقة الاولى الوزرا لانهم خلفاوه في سلطانه وسفراوه في
اعوانه وشركاوه في تدبيره وامناوه على اسراره ثم لهم من
مرتبة الاستيلا والتفويض ان على السنتهم نطق افواهه وعلى
ايديهم يظهر افعاله فاذا باشروا عنه الامور عاد عليه خيرها
وشرها وكان له نفعها وضرها وبقي عليه صفوها وكدرها فان
احسنوا نسب اليه احسانهم وان اساوا اضيفت اليه مساويهم
فصير باحسانهم محمودا وباساتهم مذموما وبسدادهم مشكورا
وبالسوايهم موتورا ليخفي صلاحه بفسادهم ويبطل عدله بجورهم
ويفتر خيره بشرهم مع عظم الضرر الداخل على مملكته والقدح

الموصل الدولته والخلل العابد على رعيته هو وملكه منهم على استقامة ما استقاموا او على اختلال اذا فسدوا قال النبي عليه السلم اذا اراد الله بالملك خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره واذا ذكر اعانه واذا اراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه ذكر حكما الملك من صفات الحسبان ان يكون وافر العقل سليم الطبع اديب النفس معتدل الاخلاق مناسب الافعال عالي الهمة قوي المنة سريع البديهة مقبول الصورة جزل الراي صايب الفكرة كثير التجربة شديد النزاهة قليل الشره حسن التدبير تام الصناعة وهذه اوصاف قل ما يوفق الله تعالى لها من يشا ويسعد بها من الملوك من احب والطبقة الثانية القضاة والحكام الذين هم من اذين العدل وتنفيذ الحكم اليهم وحراس السنة باتباعهم في احكامهم وبهم ينتصف المظلوم من الظالم في زد ظلامته والضعيف من القوي في استباحته فان قل ورعهم وكثر طمعهم فاتوا السنه باحكام مبتدعة واضاعوا الحقوق باهواء متبعة فكان فسادهم في الدين اعظم من فسادهم في المملكة واضرارهم بالمملكة في ابطال العدل اعظم من اضرارهم بالمظالمين

اليهم في ابطال الحق وقد قيل من اقبح الاشيا سخف القضاة وظلم
الولاة وقال انوشروان ما عدل من جارت قضاته ولا صلح من
فسدت كفاته والذي يقتضيه السياسة في اختيارهم بعد
الشروط المعتبرة فيهم بالشرع ان يكون القاضي حسن العلانية
٥٠ مامون السريرة كثير الحذر قليل الهزل شديد الورع قليل
الطمع قد صرفته القناعة عن الضراعة ومنعته النزاهة
من الشره وكفه الصبر عن الضجر وصده العدل عن الميل
يستعين بدرسه على علمه وبمذاكرته على فهمه لطيف الفطنة
جيد التصور مجانب للشبهة بعيد من الريب يشاور فيما اشكل
ويتانى فيما اعضل فلا يعدل عمن تكاملها ولا يرغب فيمن اخل
بها والطبقة الثالثة امرا الاجناد الذين هم اركان دولته
وحماة مملكته والذابون عن حريم رعيته والمالكون اعنة
الاجناد والعاطفون بهم على صدق نصرته وموالاته فان
استقامت له هذه الطبقة استقام له جميع اعوانه وان اضطربت
عليه فسد نظام تدبيره مع ساير اجناده لانهم الى طاعة امرايهم
اسرع ولقول زعمايهم اطوع وان خاف سطوة من به يسطوا
ولم يامن جانب من به يعلوا كان ملكه مغرورا ونفسه مخاطرا

وقيل ان الوفا لك بقدر الجنا منك والمعتبر فيهم النجدة والحمية
والوفا والمودة وظهور الطاعة منهم ولهم ليكونوا ابطا عنهم
منقادين وبالطاعة لهم قايمين والطبقة الرابعة عمال الخراج
الذين هم جباة الاموال وعمار الاعمال والوسايط بينه وبين
رعيته فان نصحوا في امواله وعدلوا في اعماله توفرت خزاينه
لسعة الدخل وعمرت بلاده ببسط العدل وقد قيل فضيلة السلطان
عمارة البلدان وان خانوا فيما اجتبوه من امواله وجاروا فيما
تقلدوه من اعماله نقصت مواده وخربت بلاده وتعذر عليه لقلة
دخله اعوانه واجناده وبان منه ما اليسير محل فساده

قال بعض الحكماء :.

ظلم العمال ظلمة الاعمال وحكي ان المامون جلس ذات يوم
واحضر العمال فقبلهم اعمال السواد واحتاط في العقود فلما
فرغ قام اليه بعض قضاته فقال يا امير المومنين ان الله دفعها
اليك امانة فلا تخرجها من يدك بالة فقال صدقت وفسخ ذلك
وانما اراد القاضي ان تقبيل الاعمال الى تحكيم العمال وحكمهم
سبب خراب الاعمال فنبه القاضي المامون على مراده وعمل
برايه والمعتبر في اختيارهم ان يكون فيهم اسباب وانصاف

وعمار

وعمارة وخيرة ومن اهله المتبذلة اموال الرعية وسوقة اموال السلطنة
وها هنا طبقة اخرى يجب ان يتفقد احوالهم بنفسه غير انهم
يختصون بحراسة نفسه لا بسياسة ملكه وهم الذين يستعملهم
في مطعمه ومشربه وملبسه ومن يقرب منه في خلوته فانهم
51 حصنه من الاعداء وجنته من الاسواء وقد اختار حكماء الملوك
ان لا يستخدموا في منازل هذه المنازل الا احد ثلثة اما من تربا مع الملك
والفه واما من رباه الملك على اخلاقه واما من ربا الملك
في حجره فان هولاء اصدق في موالاته وانصح في خدمته وعلى
في حفاظه وحياطته ومن اجل ذلك فيجب ان يكون احسانه
اليهم افضل وتفضله عليهم اظهر ويتولى فعل ذلك بنفسه ولا يكل
من اعانتهم الى غيره كما لم يكل شيئا من اعانته الى غيرهم حتى لا يحوجهم
الى من يجتذب قلوبهم بنفقته ميالهم ويكون من تقلبهم على عرض
ومن تنكرهم على خطر وقد قيل في سالف الحكم ليس من استنكر نفسه
من حظك كمن كان حظه في طاعتك ثم يتفقد فيمن سوى هذه الطبقات
بحسب منازلهم من خدمته فقد قيل من قربت واجبه امنت جانبه
وليكن اعتناؤه برعايته من استبطنه منهم اكثر ليكونوا احبابا
مصدقين واصفياء مامونين فيسلم من مكرهم ويامن من شرهم

فقد روي عن النبي عليه السلام انه قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف
من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تامره بالخير وتحضه عليه
وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى
وينبغي لكل احد من اصحابه ان يتجاوز قدر رتبته او يتعدى الى غير
عمله بعمل استبد او على رتبته مقتصرا او يتبادل بعضهم لحظوة
فاما من يخطي بها الى غير عمله ويتجاوز بها قدر رتبته فيحسن
راي الملك فيه ولعويلا على مكانه منه وروي عن النبي
عليه السلام انه قال ما هلك امرؤ عرف قدره واستشر بصالح ببعض
وزاجر حسبه من من فلا ينبغي ان ينبسط سريعا او ينحط سريعا فيبعد
مضره افراطه ومحبة انبساطه . وكذا عاقبة من عدل عن وجه
قدره ثم قد اختلف به البخت حتى مات واعتقه الملكه حتى
لا ات فضار عن هله مسكونا وملولها مهونا ان

فصل

وليحذر الملك ان يستبطن او يستبشر الى احد من عدد معانيهم
متفرقة واحكامهم مختلفة بالاعداد المتباينين اتفقت منهم
بالاعوان المساعدين فان صرعه الاستبسال لا يقابل احدهم
شرير متظاهر بالخير لانه ذو نفاق ومكر والثاني مطرح
للدين والمراقبة لانه قليل الوفا سريع الغدر والثالث

حرص سوء لانه يلبس بالبسيد و يطمع في التافه الحقير والرابع
مضرور ذو فاقة فانه لا يصفو المن لاجل فاقته ويسد خلته والخامس
محطوط عن رتبة بلغها او ممنوع من حقوق استوجبها وهو ساخط
متنكر والسادس مهاجر بذنب لم يعف عنه ولم ينتقم منه
فهو خايف حذر والسابع مذنب مع جماعة عفى عنهم وعوقب ٥٢
فصار موتورا والثامن محسن مع جماعة جوزوا ومنع فصار محروما
والتاسع ذو اكفا من حسدك واعدا قدموا عليه واخر فصار حنقا
والعاشر مستبصر بما ينفعك او منتفع بما يضرك فلا يكون مباينا
والحادي عشر من كان لعدوك او جاء منه لك فيكون لعدوك
ممايلا والثاني عشر من بغا عليه اعداوه وسوعدوا عليه فينتقل
عداوته الى من صار له مساعد فلا حظ للملك في استكفا احدها ولا
قاربه ان هو تامله الرق ولانه التوابع كان بين مراقبة مجالس
او مواتبه مفترس ويحذر الملك من استدنايهم فانه معهم
على خطر من اغتيال او احتيال قال حكيم الروم ينبغي
للملك ان يصرف حذره الى الاشرار واستنامته الى الاخيار
فان زال اسباب الحذر وعادوا الى احوال السلامة صاروا اهلا
في جواز الاستكفا والاصطناع وليس المامون ان يصلح الفاسد

كما ليس يؤمن أن يفسد الصالح وللعمل نتائج بوقوع مقابلهما
بزوال تقابلهما ونتائج الأضداد متباينة وقد قيل في منثور
الحكم من وجب صفاؤه وجب اصطفاؤه قال الشاعر
وقد تقلب الأيام حالات أهلها وتعدو على الأسد الرجال الثعالب
وإذا الكافي من استكفاه أقصر ولم يستكثر فحسبه في العمل أن كفاه
فيما في الاستكثار بعد الاكتفاء إلا الإضاع وكلا الأمرين خلل وزلل

قال بعض البلغاء

ليس العمل بكثرة الأعوان ولكن بصالح الأعوان فإن وجد كافيا
ولم يجد للاستكثار فائدة على الأعمال تمسك به ولم يهمله ورعاه بقدر
كفايته وادخر لوقت حاجته فلا غنى بالملك عن ادخار أعوان
يعدهم للطوارئ ويستظهر بهم على من استكفى حتى لا تنجاه الحاجة
داعي إليها فيعتذرون ويكفي أن يستبدل أو يدل عليه الناظرون
فإذا ادخر الأموال لنوائب الملك كان ادخار الأعوان أحق
لنمائه الأموال وتفاضل الأعوان

فصل

وأشد ما مني به الملك في سياسة ملكه شيئان أحدهما أن يفسد
عليه الزمان والثاني أن يفسد عليه الأعوان فأما فساد الزمان
فنوعان نوع حدث عن أسباب إلهية ونوع حدث من عوارض

بشرية فاما الحادث عن الاسباب الالهية ان يقابلها الملك
بامرين احدهما اصلاح سريرته وسداد عمله وقد روي عن
النبي عليه السلام انه قال اذا جارت الولاة قحطت السما وقال
علي كرم الله وجهه من حاول امرا بمعصية الله كان ابعد لما رجى
واقرب لمجي ما اتقى والثاني ان يتاهب لها اذا طرقت ويتلطف ٥٣
في تلافيها اذا هجمت حتى يتخلى وهو سليم من لحوقها معان في شدتها
فما عن اقضية الله صاد ولا عن اوامره راد فالسلم فيها اسلم ودفاع
الله عنها اقوم وجد في عضد الاسكندر صحيفة فيها مكتوب
قلة الاسترسال الى الدنيا اسلم والاتكال على القدر اروح وعند
حسن الظن تقر العين وقد قيل في منثور الحكم لا تجهدن فيما لا
تدرك فيه نجح الطلب وادحض البخل والاكثار خازن غيرك ولا تطلب
انكار ما لا عدة معك لدفعه ولا يمكنك قدره عن كيد وحيلة

قال الشاعر

ما للرجال مع القضا محالة ذهب القضا بحيلة المحتال

واما الحادثات عن العوارض البشرية من افعال العباد
فهي التي تساس فسادها بالحزم حتى ينحسم وبالاجتهاد حتى ينتظم
فليس ينشو الفساد الا عن اسباب خارجة عن العدل والاقتصاد

ولا يحسم الا بحسم اسبابها   قال الشاعر
وقلّ ما يتحامى المكروه صاحبه اذا رأى لوجوه الشر اسبابا
فداعي الملك سبب الفساد فان كان حادثا عن شدة وعسف وعنف
حسمه باللين واللطف   وان حدث عن لين وضعف حسمه بالشدة
والعنف وكذلك ما عداها من الاسباب يحسم باضدادها فان
حسم الداء اسلم من الدواء فقد قال الشاعر
فالنار بالماء الذي هو ضدها تعطي النضاج وطبعها الاحراق
وربما اختلفت الاسباب لامتزاج انواع الفساد فتحسم الاسباب
المتنوعة باضداد متنوعة كما تعالج الامراض المختلفة بادوية مختلفة
فليستخرج حسم كل فساد من سببه وما صعب من هذه السياسة الا
معرفة الاسباب فاذا عرفها وقف على الصواب وان اشكلت
عليه التبس عليه الصواب فتاه عن قصده وذهل عن رشده
قال الشاعر
اذا ما اتيت الامر من غير بابه ضللت وان تقصد الى الباب تهتدي
وتقلب الزمان باحوال اهله تعود عليهم بخيره وشره روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان امراؤكم خياركم واغنياؤكم
سمحاؤكم وكان امركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها   واذا

واذا

كان امراوكم اشراركم وكان اغنياوكم بخلاوكم وكان اموركم الى نسايكم
فبطن الارض خير لكم من ظهرها واما تغيير الاعوان فنوعان
احدهما ان يكون لفساد يعتدى اليهم والثاني ان يكون لفساد
حدث منهم فان كان تغيرهم لفساد تعدى اليهم عوجلوا
حسم اسبابه قبل تعاطيها فيحملهم بعد حسمها على السداد فان
اهملوا فالكل بهذه مضى من زمانهم فانه في استحكام فسادهم
حتى يفضي الى غاية لا تستدرك لان حسم ما استحكم يتعذر ومستبدل
وسبب هذا الفساد واحد من ثلثه اسباب اما ان يكون لتقصير
بهم فيستدرك بالتوفر عليهم واما ان يكون لعدوان عليهم
فيستدرك بالكف عنهم واما الفساد الحادث منهم فواخبثها لان
الطمع مصايد للعقول ومفسدة للقلوب فان لم يتداركه حزم
او حذر اخذت به السراير ففتح من القلوب سوالكها وابرز من
القلوب كوامنها وصار كتاجج النار في يابس الحطب وقد روي
عن النبي عليه السلم انه قال استعيذوا بالله من طمع يهدي
الى طبع وقال عمر عليه السلم ان الطمع فقر واليأس غنى
وان المرء اذا ايس من الشي استغنى عنه وحسم هذا الطمع
يكون بمقابلة ارغاب من استقام حتى يثبت وارهاب من لان حتى

بينهما لتمنح الرغبة بالرهبة فيقى انفراد احدهما فساد

قال الشاعر ٢

والنفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع ٥

واما تغيير الاعوان لفساد حدث منهم عدل لو انه عن الاستقامة
وزال الواعز احوال السلامة فهو لذة الدعة والفرح النقل والخطب
العضل لفرق ما بين الفساد الطاري عليهم والفساد الناشي منهم
من وجهين احدهما ان الطاري منفصل والناشي متصل ونكاية المتصل
ابلغ من نكاية المنفصل والثاني ان الطاري ظهر قبل حلوله فيهم
فامكن تعجيل استدراكه والناشي ظهر بعد استحكامه فيهم فتعذر
تعجيل استدراكه فلزم لاجل دائه وعضل دوايه ان يبقى وشيجة
تلافيه وحسم دواعيه فواعد السياسة في تدبير الملك اذ الخلق
احوج الى لتحامل حال على قاعدتها وتدبير لحجتها واذا كان كذلك
فالملك يساس بثلاثة امور احدها بالقوة في حراسته وحياطته
والثاني بالراي في تدبيره وانتظامه والثالث
بالمكيدة في قتل اعدائه فتكون القوة مختصة بالعقل والراي مختصا
بالتدبير وهما على العموم في جميع الاحوال والاعمال فاما المكيدة
مختصة بقتل الاعداء فان من ضعف كيده قوي عدوه وهذا اصل

معتمد عليه مدار السياسة وتحمل عليه تدبير الممالك وللملك
ثلثة احوال فالحال الاولى تثبيت قواعده والحال الثانية تدبير
رعيته والحال الثالثة استقامة اعوانه فاما الحال
الاولى في تثبيت قواعده وحراسته من الاعداء المنازعين فيه
فضربان احدهما حاله قبل استقراره عند المنازعة فيه والمحاربة
عليه فيساس بالامور الثلثة احدها بالقوة في حراسته والذب عنه 55
حتى تستقر قواعده والثاني بالراي في تدبيره حتى ينتظم على
اعتداله والثالث بالمكيدة في انتهاز فرصه ودفع غوائله والحال
الثاني حاله بعد استقراره في السلم والدعة فيساس بامرين
احدهما بالقوة الحافظة لقواعده المستقرة والثاني بالراي
الجامع للسياسة العادلة ولا حاجة الى استعمال المكيدة فيه
عند السلم والموادعة واما الحال الثانية في تدبير الرعية فضربان
احدهما حالهم في السلامة والسكون فيساس بالراي
وحده المحافظة لتدبيرهم على السيرة العادلة والضرب الثاني
حالهم في الاضطراب والفساد فيساسون بامرين احدهما
بالقوة في كف مفسدهم وكف الفساد عنهم والثاني بالراي
في تدبير امورهم على السيرة العادلة ولا وجه لاستعمال

الملكين فيهم ولان حقوق الاموال يشتمل منهم فان كثر واستبد الملك
بهم مكيدا فكان الضرر عليه اعود والفساد فيه ازيد ومن تقسيم
احوال الملوك مع رعيتهم اربعة اقسام يعلم بتفصيلها اسباب
الصلاح ومواد الفساد فالقسم الاول ملك صلحت سيرته و[illegible]
رعيته فاعتمد على صلاح السيرة فاستقامت رعيته واعتنت الرعية
على الاستقامة بصلاح سيرته فهذا هو العدل منهما فصارت
السعادة شاملة لهما وقد روي عن النبي عليه السلم انه قال
خير امرائكم الذين تحبونهم ويحبونكم وشر امرائكم الذين تبغضونهم
ويبغضونكم والقسم الثاني ملك صلحت سيرته وفسدت
رعيته فقد ضاعت الرعية بفسادها صلاح ملكها وخرجها من
سكون الدعة الى زواجر السياسة فاحتاج الى تقويمهم بالشدة
بعد لينه وبالسطوة بعد كونه ليقلعوا عن الفساد الى السداد
فيكف عنهم والعدل في الحالين مستعمل معهم لان الزجر
تاديب والرهبة تهذيب

قال بعض العلما

لا تعادوا الدول المقبلة فانكم تدبرون باقبالها والقسم الثالث
ملك فسدت سيرته واستقامت رعيته فان استدرك صلاح

ملكه بعدل سيرته وصحة سياسته والا انطاولت عليه الرعية
بقوة الاستقامة وكان معهم امرين احدهما ان يعلوا حتى يستقيم
فيصير ماموراً بعد ان كان اميراً او مقهوراً بعد ان كان قاهراً
وتزول هيبته ويبطل حشمته ولا يبقى له من الملك الا اسم مستعار
قد استبقوه عليه تفضلاً فيا من كثر يعتد به كثر اعاديه واللتي
ان يعدلوا الى غيره فيملكوه عليهم فيكونوا له اعواناً ان نوزع
وانصاراً ان نوزع فيصير بفساد سيرته مزيلاً للملكه ومعينا
على هلكه. والقسم الرابع ملك فسدت سيرته وفسدت
رعيته واجتمع الفساد في التابعين والمتبوع فظهر العدوان
من التابع والمتبوع فلم يتقاصد عن تنازع ولا داع الى
صلاح فخرجت الامور عن سبيل السلامة وزالت عن قوانين
الاستقامة ولا ثبات لملك زالت عنه السلامة وعدمت فيه
السلامة وهو يترصد من ثائر يصطلم او قاهر يستلم وقد قال
اردشير بن بابك من بارز الملك وهذه الرعية ختم الدولة
ويستقبل الفتنة وبذل الدهور. واما الحالة الثانية في استقامة
الاعوان فضربان احدهما حالهم في السكون والدعة فيساوون
بالراي وحلم في تدبيرهم بالرغبة والرهبة حتى تستقيم امورهم

على السيرة العادلة وقال سابور في عهده الى ابنه هرمز
اعلم ان جندك لن يثبتوا عندك وان كثروا او كملت عدتهم حتى تكمل فيهم
ثلث خصال ليس منهن عوض محض المودة وصدق النية وسلس
الطاعة فانهم يودونك بهن حقك ويدينون بهن عدوك والضرب
الثاني حالهم في تغييرهم وفسادهم على ضربين احدهما ان يكون
الفساد خاصا في بعضهم فيياس من فسد منهم بامرين بالقوة
في اصلاحهم لمن سلم وبالراي في تدبير امورهم كالمسالم ليصيروا
جميعا على السيرة العادلة فان انتشار فسادهم من كثرة روسايهم
المتنافسين في الرتب فيجذب كل رئيس حزبا يدعوهم الى طاعته
ويبعثهم على نصرته فيصيروا احزابا مختلفين واضدادا متنافرين
فهذه حالهم ان كثروا وهم بالضد منها ان قلوا والضرب الثاني
ان يكون الفساد عاما في جميعهم فلا يخلو حالهم في الفساد العام
من ان يتظاهروا به ويستتروا فان استتروا به فقد استعفوا
المساترين نظرا فيساسون بالراي ويحمل لاعوان القوم فسادهم
ولا يساسون بالمكيدة لمساترتهم وان جاهروا بالفساد فهو الوهن
الواهي والخطب الفادح وينتج ثلثة انواع احدها ان يكون فسادهم
مختصا بانتهاك الرعايا واستباحة الاموال فقد سلبوا القوة لتاركه

ومنعوه الطاعة لمخالفته وجعلوه كالصنم الذي لا يزاد على التعظيم
فاستنفقوا يسير حشمته واستولوا على جميع ممالكه فنبو سهوه بالراي
واللين واجتذاب في بين نفساه يقوى فيمنع ويستبد فيدفع والا فالملك
واه والفساد دمناه وهو كالمثل المضروب بقول الشاعر

كم ثم ابليت الرصاص على النار ومنها يكون ذوب الرصاص

قال بعض الحكماء

٥٧ اضعف الحيلة خير من اقوى الشدة واقل التاني احدى من اكثر العجلة
والدولة رسول القضا المبرم واذا استبد الملك برايه عميت
عليه المراشد والنوع الثاني ان يكون فساده مختصا بالاسراف
في مطالبته بما لا يستحقونه والافراح عليه في التماس ما لا يستوجبونه
فلا يخلو فيه من احد امرين اما ان يكون قادرا عليه او عاجزا عنه
فان كان قادرا عليه كان زهدا منهم طمعا فيه فلا طمحوا فيه مراقبة
واستذلوا فيه حشمته واوهنوا بالاستطالة ملكه فصار مسلوب
القوة باستطالتهم مضروب المال بمطالبتهم فجعلوه مأكلة مطامعهم
فهو معهم كذي المال المستضعف مع البغاة الاقويا محروب ومسلوب
لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فيبا سوف بالراي والخداع فما استبقوا
من حشمته الاحسا اشبه فلا يعرضها النفور بمهلك وسوء صل بالي

رضاهم سرا وجهرا انما يختلفون في اسبابه وهم لا يشعرون
ليمتزج اسباب الرضا من وجوه متغايرة فيكون به ارفق ولهم اوفق
كما قال الشاعر

واذا عجزت عن العدو فداره وامزج له ان المزاج وفاق
فالنار بالماء الذي هو ضدها تعطي النضاج وطبعها الاحراق

فاذا سكنوا من فورة الاشتطاط توصل الى حسم مطامعهم وان حسمت سلم ملكه بعد السقم وان لم يحسم فهو ذاهب الملك وسبيل الهلاك ان لم يعضده نصر من الله وفتح قريب وان كان عاجزا عما افترحوه وطمعوا فيه فهو عنت مستحيل قد جعلوا الشر فيه سببا لتغيره فيستانفون بامرين بالراي والمكيدة فانهم لا يقفون على حالهم المستحيلة وسينقلون عنها بالحيلة من ثلاث اما ان يكفوا عن عنتهم فيلقي امرهم ويدرهم ليبعدهم اما ان يختلفوا فيفترق منهم واقف منهم على ما فهم واما ينتقلوا ان لم يعنه القدر عليهم الى ما يقع فيه التسليم والاستسلام والله يقضي فيه ما يشا وهو القوي العزيز والنوع الثالث ان يكون فسادهم مختصا بالقريض لفتنته وهو الشر المعظم والبلا المصطلم ولا ان يكون الا السبب من احد ثلثة اوجه احدها ان يكون لسو سيرتهم فيهم فهو

الملوم

الملوك دونهم وليس يرجى زوال الهم مع بقاء سببه وهو سوء السيرة فان اقلع
عنها الى حسن اعتقه والا ساسهم بما اقتضاه الرأي من لين ولطف
تم له الامر من قرب او من بعد   والسبب الثاني ان يكون تغيرهم
عليه الملك منهم له حدث بطول ملكه فيمل الملك من لوازم الملل
ولئن لم يزل الملك حقا لم ينقصه وقل ان يكون ذلك الا عند حدوث
باشتبه لم ينالوا من دولته حظا فهم يأملون تنقل الامور ان يستدركوا
٥٨ نعما ويرجون باستقبالها ترجيحا ونفذ ما فان لم يستبد لهم غيرهم
كان الخطب بهم ايسر للطف ببقية منهم ليستعان بها عليهم
وان عم بهم الفساد فهو اصعب الخطبين فليسوسهم بالتلطف
والتأمين واستصلاح فريق بعد فريق   فان ظفر منهم بطاعة والا
والا فهو بين صائل من بغي قد استولى وملك قد تولى الا ان يريد الله
تعالى بلطف غير مرتقب وهون غير محتسب   والسبب الثالث
ان يكون تغيرهم عليه لدخولهم في اعدوة قد مالوه واعتزائهم
للضد قد استبدلوه فهي اسوا الخطوب حالا واعظمها وبالا لانه
قد بلي بانحراف اعوانه واستطالة اعدائه لان لكل واحد منهما
نكاية لا تطاق فكيف اذا اجتمعا قال الشاعر

ان البلاء يطاق غير مضاعف فاذا تضاعف صار غير مطاق

ولم يبق ما يستند عليه في حفظ الخلال الاخيرة فانما علاج ما اعضل من دائهم
فبعد الحلم بموافقة لاهل الهوى وبتبعيتهما عليهم وقيل ان سببا صلوه
ويظهر معها ان يواخذ له المدة باحتمال سيرته واحتمال رعيته
ففي كل واحد منهما عون فان سرت المكيدة في عدوه لان اعوانه
وان سرت في اعوانه لان عدوه لان اعوانه ليس في واحد منهم
فهو موكول موقع لما يجري به الاقدار ويتقلب به الليل والنهار
ولئن كان في غاية متناهية فليس بمانع من ان يظفر وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا دول فما كان منها لك
اتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوة ومن انقطع
رجاؤه مما فات استراح بدنه ومن رضي بما رزقه الله قرت
عينه وقيل ربما كان الياس ادراكا والحرص هلاكا
وقيل رب مستسلم سلم ومتحرز ندم قال الشاعر
وحذرت من امر فمر بجانبي لم ينكني ولقيت ما لم احذر
وليس يطرى امثال هذه الحوادث على الممالك الا من استرسال
الملوك في حالتين احدهما ان يغفلوا عن الحزم حتى ينتشر من
الاهمال ما يطغي والثاني ان يسترسلوا في العدل حتى
يظهر من الجور ما يوحش قال اردشير بن بابك اذا رغب

اذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة وهما اساس
الملك فاذا اختلا منه فاجتمع فيه طغيان الاهمال واستحكام الجور
تقوضت قواعد صلاحه وتهدمت اركان سداده فلم يسعد عليه نتائج فساده
حوادث لا تحتسب لان عواقب الفساد ادهى وامر ونتائج الشر اعدى
وامر كما قال لقمن لابنه يا بني اعتزل الشر يعتزلك فان الشر للشر خلق

قال بعض البلغاء

من فعل الخير فبنفسه بدا ومن فعل الشر فعلى نفسه جنا قال الشاعر ٥٩

للخير لا يأتيك مجتمعا والشر يسبق سيله مطره

واذا احكم الملك قواعد ملكه باستعمال الحزم وبسط العدل ولم يغفل
عن الحزم في صغير ولا كبير ولم يترخص في الجور في قليل ولا كثير احاطة
السلامة بملكه وحفت السعادة بدولته فامن غوايل الفساد
وسلم من ظهور العناد وكان الناس معه من شاهد لعدله واحسانه
وحذر من باسه وسلطانه فتشكره الاخيار وتتقيه الاشرار ولم يتطرق
على ملكه خلل ولا على نفسه وجل فصح ان الحزم والعدل ادفع لشوايب
الملك ومخاوف الملوك من كل علة وابلغ في صلاحهم من كل حيلة فيستنجد
الملك حزمه ويستنجد عدله فانه يستغني بهما عن كل علة ويستعان بهما
في حراسته من الخطر وحفظ ملكه من الغير ٥

قال بعض العلماء

بالعدل والانصاف تكون مدة الايتلاف وليعلم الملك انه من الحزم
ان يتصفح احوال حاشيته واعوانه في زمان السلم واوقات السكون
لان القدرة اشد والمكنة امكن فان لكل صنف من الحواشي
والاعوان افة مفسدة وبلية فادحة تجعل الصلاح بهم فسادا او الميل
منهم عنادا فيقف عليها بتصفح احوالهم ليسلموا فيصير منهم سليما او ليتقوا
فيصير بهم مستقيما فقد قيل في منثور الحكم افة الملك سوء السيرة
وافة الوزرا خبث السريرة وافة الامرا مفارقة الطاعة وافة الجند
مخالفة القادة وافة الرعية ضعف السياسة وافة العلما حب
الرياسة وافة القضاة حب الطمع وافة العدول قلة الورع
وافة الملك تضاد الحماة وافة العدل ميل الولاة وافة الجري
اضاعة الحزم وافة القوي استضعاف الخصم وافة المجد عوايق
القضاء وافة المعد انتقاض الاراء وافة المنعم قبح المن
وافة المذنب سوء الظن وافة الزعما قلة السياسة وليس اسباب
الفساد في هولا الاصناف مقصور على هذه الاوصاف حتى لا يتعداها
الى ما سواها وانما ذكر الاغلب من فساد كل صنف وان جاز ان يفسد بغيره
فيتوصل اليه بتصفحه وصبره وسبره فاذا وقف الملك على فساد

ع

60

على موادّ فسادهم واسباب آفاتهم وقطع اسبابها وحسم موادّها
لتسلم له مصادر الامور وليستقيم مواردها ويامن نتائج التقصير فيحمد
عواقبها فانّ مبادى الامور اسّ ان رسا تشيّد وان وهى تقوّض
وليكن كثير الاعتناء بسبر حماة البلاد وولاة الاطراف الذين فوّض
اليهم امانات ربّه واستخلفهم على رعاية خلقه فيندب لذلك
من امنائه من حاز خصال التفويض واستحقّ بحزمه وشهامته الولاية
٦٠ والتقليد قال ان الدنيا لا يصلح لسدّ الثغور وقود الجيوش
وتدبير الجنود وحراسة الاقاليم الا من تكاملت فيه خمس خصال
حزم يتيقّظ به عند موارد الامور حقائق مصادرها وعلم يحجزه
عن التهوّر في المشكلات الا عند تجلّي فرصتها وشجاعة لا تنقضها
الملمّات بتوارد ضجرها وصدق في الوعد والوعيد يوثق منه بالوفا
عليهما وجود يهون عنده تبذير الاموال عند ازدحام السوال عليه
واقول انّ كمالها باعتبار خصلتين معهما احدهما ان يقدّم مصالح ما يقلّده
على مصالح نفسه لعود صلاحه اليه ورجوع فساده عليه والثانية
ان يبتغي اكتساب الاجر والحمد افضل مكاسبه فانّ من لم يجذبه
فلا خير فيه الميل الى نفسه موثوق بخيره ومامون على غيره فهذه خصال
ان لم يحزها سائس الملك ومدبّر الرعايا كان اختلال عمله بحسب

اخلالا الى كماله لان لكل ثلم مسدا ولكل وهي مردا وقد يتغير بهذه
الخصال ما يختلف باختلاف الزمان فربما حمدت في بعض الاحيان
اللين واللطف وفي بعضها الخشونة والعنف فان لكل وقت حكما ولكل
قوم تدبيرا وقد وصف عمر بن الخطاب رضوان الله عليه اخلاق
الولاة فقال لا يصلح من يلي امر الامة الا ان يكون حصيف العقدة
قليل الغرة بعيد الهمة شديدا من غير عنف لينا من غير
ضعف جوادا من غير سرف لا تاخذه في الله لومة لائم وهذه
الاخلاق التي وصفها يجب ان تكون للائمة في كل وال مطبوعة في
كل مدبر قال الشاعر

وقلدوا امركم لله دركم رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا مترفا ان رخا العيش ساعده ولا اذا عض مكروه به خشعا
ما زال يحلب در العيش اشطره يكون متبعا يوما ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته مستحكم الراي لا قحما ولا ضرعا

ثم عليه ان يحفظ مراتب جماعتهم وينزل كل واحد منهم المنزلة التي
يستحقها بكفايته وحسن اثره وان حفظ المراتب في المملكة
كحفظ السمع والبصر لعظم المنافع فيهما وانتشار العداوة منها
وقد تلبس عطلها كذا لبس المهرج ويترشح لها من ليس لها اكفو ولا من

اهلها

اهلها غاصبًا او مغالطًا فتضعف منها ايدي اربابها وتفسد فيها احكام
عضاتها وليس كل من تعظم بعظيم ولا كل من تنسك بناسك ولا كل من
تسود بسيد والناسك غير المتناسك والشريف غير المتشرف
ولا خير في مملكة صار الرؤوس فيها اذنابا والاذناب فيها رؤوسا
عهد بعض ملوك الفرس الى ابنه فقال لا تكونن في شيء من الاشياء
اشد خشية منك من راس صار ذنبا او ذنب صار راسا او يد مشغولة
احدثت فراغا او كريم حال الى ضر او لئيم صار الى فرح فانه يتولد من
تنقل الناس عن حالاتهم فساد مضر وحفظ المراتب معتبر من ٦١
وجهين احدهما في الولاية والتقليد والثاني في الاكرام والتقريب
فلا يتجاوز باحدهم قدر الاستحقاق في احدهما فانه يطغى بالزيادة
ويستوحش من النقصان وهذا امر يوجب صرف الاهتمام اليه
لما في نظامه من نضارة وغضارة وحفظ مراتبه وحشمته اذ لا شيء
اعظم ايحاشا ولا اكثر نكرا وفسادا من حط مراتب الاكفاء ورفع
السفلة والادناء حكي ان انوشروان وقع الى ولاة الحسبة في
اعماله ان لا يدعوا اولاد السفلة ان يقعدوا في المكاتب وان يطردوا
عن مجالس القضاة لانهم متى ما تعلموا الجد الوزحوا في الدين ومتى
ما تمكنوا من اعمال السلطان عملوا في بوار اهل البيوتات فقال

بعض الشعراء

لله در انوشروان من ملك ما كان اعرفه بالدون والسفل
نهاهم ان يمسوا بعده قلما وان يروموا ركوب الخيل والابل
واذا احد سعى صاحب في ولايته او في عمله فانه وان حسن ان
يعزل الجند من ولايته الى اخرى وهو الاولى حتى لا يستقر بهم وطن
ياسون الى اوانه ولا يفتقون فيه ما يطيبون نفسا بتركه فليس
بصواب ان ينقل والى المدينة ولا صاحب الخراج بل يكون على ولايته
ما بقي على حميد سيرته فان اتى بمعصية او خيانة صرف صرفا
لا ولاية بعده الا عن توبة واقلاع وكذلك في الحواشي والحكام
والعلة في ذلك انه متى عرف من السلطان انه يتبع الصرف والاستبدال
اعتقد كل وال ان ايامه قصيرة فعمل السوق يومه ولم يلتفت الى اصلاح
غده واحتجن الاموال في صدر ولايته وناهب عليها لزمان عطلته
فاذا انصرف عنها خلف البلاد على منزلة مختلة وزاد الثاني اختلالا
على مثل حاله ولا تلبث الاعمال حتى تخرب بتناهيه العمال واذا سكنت
نفس الناظر الى ان اعماله مقر عليه ما اقام على نصيحته وحميد
سيرته نظر فيها نظر المالك في عمارة ضياعه ومنتزه غلاته
وصار فكره في صلاح غده قبل فكره في صلاح يومه لعلمه ببقاء العمل

عليه

عليه وان حسن العاقبة وستره عائد عليه ومنسوب اليه فيثق
بنصحه واجتهاده وعلم صلاحه وعفافه وليكن نزاهة عن اموالهم
وان توفرت عين طامع فيها وان كثرت ما لم يظهر منهم خيانة
واجحاف لانهم قد يكسبون بجاه اعمالهم من مباح الوجوه ما لا تبعة
فيها عليهم وليكونوا ذوي احوال واموال يستغنون بها عن
العفة والامانة اولى من ان يكونوا ذوي فاقة تضطرهم الى الخيانة
فقد قيل الامانة للمحتاج وليعلم انه متى طمع منهم في اليسير ٦٢
اطمعهم في الكثير وان اخذ اموالهم جبرا تاولوا الاخذ وامنوه اضعافها
سرا بالغيبة تاويل فيظن انه قد ارتفق بالغيبة وهو قد اخذ بعض
حقه ويصير معدودا في الظالمين وهو مظلوم ويصير واحدا من
من المظلومين وما منهم الا ظلوم واذا كف عنهم استخدمهم فانصف
وانصفوه

قال بعض الحكماء

من طمع في اموال عماله الجاهم الى اقتطاع امواله وقال انوشروان
من خاف شرك افسد امرك وقال ازدشير لا تخرجن احدا من لا يرجوا
خيرك ولا تامن جانب من لا يامن جانبك فان ظهر منهم على مال قد اجتنوه
وحق قد خانوه طالبهم به مطالبة المنصف واستوفاه منهم
استيفاء المحق المنصف بعد اقامة حججه وادلة شواهده

ولا ينبغي بالمقدرة عن اظهار الحجة ليكون معذورا وهم مذمومين
ومستضعفا وهم خائبين فاذا استوفا حقه واسترجع ماله كان من
ورا ذلك بهم نفوذ بما الهوى واستصلاحا لعيشهم وعلى حسب اقدارهم
يكون التقويم   واذا وجد من بعض خدمه هفوة او تقصيرا في الرعاية
عمدا لم ياخذه بذنب الدهر وعوائق الزمان مع حسن الثقة به
وجميل الظن فيه فليس من الزلل امان ولا الى العصمة سبيل   وقد
قيل اي عالم لا يهفوا   وصارم لا ينبوا   وجواد لا يكبوا

قال بعض الحكماء

من كثر صوابه لم يطرح لقليل الخطا   قال الشاعر
ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب
قال النبي عليه السلم لا حليم الا ذو عثرة   ولا حكيم الا ذو تجربة
وتاويله وجهان احدهما ان معناه انه لا يخلو حليم من عثرة
ولا حكيم ان يحتاج الى تجربة   والثاني انه لا يكون حليما ولا حكيما
حتى يتكرر عثراته وحوادثه فيصير بعد كثرة التجارب والعثرات حليما
حكيما واذا انقطعت بعضهم عن الخدمة من اطلع قطع وظهرت باعذارها
ووضح برهانها لم يكلفه فعل ما ليس في وسعه وطاقته فقد رفع الله

الحرج

الحرج عن المعتذر في حقه وقد يقطع الملوك القواطع عن حقوق
انفسهم وهم اعذر فكيف باوليائهم وخدمهم وهم اعجز

وقد قال الشاعر

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها ولا تجود يد الا بما تجد

وان الملك لجدير ان لا يذهب عليه صغير ولا كبير من اخبار رعيته
وامور حاشيته وسير خلفائه والنائبين عنه في اعماله لمداومة الاستخبار
عنهم وبث اصحاب الاخبار فيهم سرا وجهرا وندب لذلك امناء ٦٣
يوثق بخبره وينصح الملك في مغيبه ومشهده غير مشوب فيما تشي ولا ذي
هوى فيوري او يعتدي لتكون النفس الى خبره ساكنة والى كشفه
عن حقائق الامور راكنة فانه لا يقدر على رعايته قوم يخفى عليهم
اخبارهم وتطوى عنه آثارهم فتتماطر استقامة الامور بتمويه
الخونة فافضى بحسن الظن الى فساد مملكته وهلاك رعيته
وان ينتهز العدو فرصة غفلته فيستبين عن عوار صبره ما غشاه
يصعب بعد ان كان سهل المرام ويقوى بعد ان كان ضعيف القوام
فان كبار الامور تبدو اصغارا قال بهرام جور لا شيء اضر على
الملك من استكفاء من لا ينصح اذا دبر واستخبار من لا يصدق اذا اخبر
ولم يكن في طلب الاخبار اشد حثا عنها من اردشير بن بابك

في السياسات ومن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلفا الاسلام
فانه كان علمهما باحوال العامة كعلمهما باحوال الخاصة
وعلمهما بمن بعد عنهما كعلمهما بمن قرب منهما وبه استقامت سيرتهما
وظهرت حرمتهما واذا كان باحثا عن الاخبار مطلعا الى غوامض
الاسرار جمع في الاستخبار بين معروف مجاهر يكون به في الناس
محذورا وبين مجهول مساير بصير به واتقى اخبار الايقاظ فان
فيتواطآن الكشف له غطا الغفلة والخلف شبهة الحيرة فساس الامور
بتثبيته وبصيرته وحرس الرعية بيقظته وصدق عزيمته ويهيب
اعوانه فعل الخير فاستقاموا وتجنبوا اقبح المكاسب فانصافوا ووثق
الرعية بكف العوادي عنهم فامنوا واذا انس بمطالعة الاخبار
استلذ عن ابقائها واستمد فوائدها وعنه قال المنصور رضي الله عنه
عجبت للسلطان الذي لا يتخذ بصراء الاخبار لهوا اما ذا الهوا
وللمدبر الذي لا يعلم ما حدث في عمله كيف يمضي تدبيره

قال بعض العلماء

اذا الهى السلطان عن الاخبار ولم يله بها او اصرف عنها ولم يستبر عن
اليها فاسم العجز اولى به من اسم الحزم والتقصير عليه اغلب

من الاستيفاء وجهل الواجب ابين فيه من علم الصواب ويجب ان يكون
عنايته باختيار من بعد عن حضرته كعنايته باختيار من قرب منها بل
ربما كان اهم لان بعد الدار يبسط ايدي الظلمة فاذا افضى
بعد دارهم وقلة الاستظهار عن احوالهم الى اتباع اهواهم وسكنوا
الى الغفلة عن تصفح اعمالهم فكانت ايديهم مبسوطة في الرعايا وامورهم
محلولة في القضايا وربما افضى ذلك الى فسادهم في الطاعة لتصنع
آثارهم ومن تصفح اعمالهم فان المحسن مستوحش والمسيء مستانس ٦٤
فكم من عصيان كان هذا مباديه وانقراض ملك كان هذا بدوه
وقد قيل ليس بين الملك وبين ان يملك رعيته او تملكه الا الحزم ولا
يعتبر بمن سداده في حسن الثقة به ويترك الاستظهار عن حاله
تعويلا على من تقدم من سداده فربما يتغير في الاول او يتغير في الآخر
فان تقلب الزمان يغير اهله فربما افسد الصالح واصلح الطالح
فما تبقى الاشياء على حاله ولا تمنع من استحالة واذا احس بنكر لم يستعجل
بالمواخذة والانكار وتثبت للكشف حتى يقف على حقيقته من باطله فربما كان بخبر
يصدق في خبره واذا عرف بالاناة للكشف لم يخبره الا الصدوق
ولم يناقه الا المستقيم قال الشاعر
تان ولا تعجل بلومك صاحبا لعل له عذرا وانت تلوم

ولئن كان من حقوق ما استرعاه من بلاده ان يتعرف اخبار اعماله
وعماله فمن حقوق السياسة ان تراعى الاخبار ما تاحمها من بلاد
وملوك فيتصل به خيرهم وشرهم ويعود عليه نفعهم وضرهم لان
الصلاح والفساد يسريان فيما جاوزاه ولربما رصد واعتقل
بالاهمال وعوجل بالاسترسال فهجم عليه الاعدا واجم عنه الاولياء
لان الغفلات فرصا ينتهزها المستيقظ من اللاهي ويدركها المتحفظ
من الساهي لان الفرصة لمن واتتها تحوطه وسابقها بعزمه فليستدفع
بوادر الغفلة بالاستظهار ويحذرها بالاستظهار ولا يغتر فيستغفل
وبهمل فيستعذر ليحرس ملكه ويحوط رعيته فانه لم ينظر من الملك
الا من تيقظ وتحفظ وقد ذكر الاوايل في مواعظ الملوك ان
الملك تطول مدته اذا كان فيه اربع خصال احدها ان لا يرضى لرعيته
ما يرضاه لنفسه والثانيه ان لا يسوف عملا يخاف عاقبته والثالثة
ان يجعل ولي عهده من ترضاه رعاياه لا من يهواه نفسه والرابعة
ان يفحص عن احوال رعيته فحص المرضعة عن منام رضيعها

فصل

ومما ينبغي للملك ان يحذر قبول السعاية في اصحابه فذلك يوحش
الناصح ويومن الخاين ويفتح للسعاة ابواب الرشا وليعلم ان الساعي

لم يحمله على سعيه افراط نصحه لسلطانه وانما يفعله اما حسدا لمن سعى
به وطلبا للتشفي به واما تعرضا للتكسب به واما التماسا للحظوة عند
السلطان فاذا شرع في السعاية اعطا الملك الرشوة وادخل عليه الشبهة
حتى يتصور الامين بصورة الخاين والمحسن بصورة المسي فيقل ثقته
باصحابه واذا قلت ثقته بهم اوحشهم واذا اوحشهم خافهم فيكون
اضراره بمن سعى اليه اكثر من اضراره بمن سعى به   وقد روي عن النبي صلى
٦٥ الله عليه وسلم انه قال اياكم ومهلك الثلثة قيل وما مهلك الثلثة
قال الذي يسعى باخيه الى سلطانه فيهلك نفسه وسلطانه واخاه ١

قال بعض البلغاء

الساعي كاذب لمن سعى اليه وخاين لمن سعى به   ووقع المنصور صوابه عليه
في رقعة منتصح تقربت الينا بما باعدك من الله عز وجل ولا ثواب
عندنا لمن اثرنا عليه   واذا احسم قبول السعاية في اصحابه الادب
ظنون السعاة والغلط بنيات الولاة وضح اعمالهم بدلا من قبول
السعاية فيهم ولم يقطع عنهم في قلة الغفلة فيهم فاذا علموا انه ليس
يخفى عليه من اعمالهم خافية اقلع الخاين عن خيانته وازداد
الناصح نصحا في ولايته وعلى الملك بها الى ما سيجاب حرمه واه

وبحمد عقباه وصلح به الفريقان مع استقامة الملك واجلال السياسة وقبل ان يطرق المستمع اليك فان دخل من جهة مضار الناس فلا يقبل نصيحته وتحرز منه وان دخل من جهة العدل والصلاح فاقبلها واستنشره

فصل

وليعلم الملك ان الامور التي يعم نفعها اذا صلحت ويعم ضررها اذا فسدت امر النقود من الدرهم والدينار فان ما يعود على الملك من نفع صلاحهما لسعة دخله وقلة خرجه اضعاف ما يعود من نفعهما على رعيته قيل في منثور الحكم من فطانة العجز ترك الافضل وهو مباح فان سامح في غشها وارخص في مزج الفضة بغيرها لم يف نفع صلاحها بضرر فسادها لانه اذا خلط الفضة بغيرها وجعل في كل عشرة خمسة حرفا وخمسة غشا ورام ان يوخذ بقيمة الفضة كان محالا كما لو رام اخذ النحاس بالذهب وان رام ان يوخذ بقيمتهما لم يجد في ذلك نفعا وكانه عمر مكيالا الا دورنا مع فساد الفضة وخسران العمل ثم اذا طال مكثها وكثر لمسها فمحقت عند الناس ولحقتها افتضاح بهجها ورغبوا في طول ان يلحقها وهيج اصحاب اللبس عليها بضرب كبير الغش بما كان احسن من عيني ذلك فتفسد النقود وتجنب الناس قبض الدراهم ولم يبيعون

من

من بيع الامتعة الا بالغش وان كان سليمًا وان كانت كالورق في
الغش عدل الناس عن مطبوعها الى الفضة الحرق والذهب
الخالص وصار ادخار الناس اصول اموالهم واستحدثت المعاملات
المهن وعامتها غير النقود المالوفة يدفعون به الاوقات ويتالون
به الحاجات وبطلت معاملات الناس فانهتك المستور والمروة
ولم يصل الامتعة والاقوات الا اهل القدرة والارباب الاموال
٦٦ الجمة فعند ذلك تدعو الضرورة الى تغيير الضرب فان غير
مثله كانت حالهما واحدة وكان حكمه في المستقبل حكمه في الاول
واذا عرض من السلطان تغيير ضربه في كل عام عدل الناس
عن ضرب به الى ضرب غيره حذرا من الوضيعة والخسران وكان
عدولهم بما ضرب غيره موهنا للسلطانه وكان النقد سليما من
ث غش وما مونا من تغيير صار هو المال المدخور وزادت به المعاملات
نقدا ونسا فعم النفع وتم الصلاح ومن كان المتقدمون يجعلون
ذلك دعامة من دعايم الملك ولعمري ان ذلك كذلك لانه القانون
الذي يدور عليه الاخذ والعطا ولست تجد فسادًا في العرف
الا مضرًا بفساد الملك فلذلك صار من دعايم الملك
وليعلم الملك ان اموال السلطنه شتى عينه قد قدر الشرع

مقاديرها وبين وجوه مصرفها وجعلها وفق الكفاية لأن ما عداها
دعا الى استزادة قال النبي عليه السلم نزلت المعونة على قدر
المؤونة وليكن الملك عليها مقتصرا ولامر الله تعالى فيها ممتثلا
فانه نائب عن الكافة فيها وزعيم بتولي مصالحهم بها فان اتبع امره
في اخذها وعطائها اجابت النفوس الى بذلها طوعا ولم يلبسها
الا مستحق وكفى ان لا يطالب بالمحال كما لم يطالبه فسلم دينه واستقام
ملكه ورضي جنده وصلحت رعيته وان تجاوز حكم الشرع في طلب
ما لا يستحق نفرت منه النفوس فلم تجب الى بذله الا بالعسف الخارج
عن قوانين السياسة وعاد بالنقص في الحقوق الواجبة وانفتحت
عليه المطامع في المطالبة بما لا يجب كما طالب به لان من جار في
الاخذ جور في الطلب ومن ناصف نوصف فلا يغتر بزيادة
اخذ بزيادة جرّه ثم هو بين نفور رعيته واستطالة اعوانه
وليس مع هذين ملك يستقر وليحذر الملك ما حذره الله تعالى
من تحيف عباده وليبذل امره في مصالح بلاده وليعم رعيته بقيام
عباده وحشمة اللائذين به وحفظه والداخلين في كفالته في
ارتياد موادهم وانتظام اسبابهم وكف الاذى عنهم فهم من امانات
الله التي استودعه حفظها وكفله القيام بها فلا يهمل مراعاة امانته

ولا

ولا يغفل عن الرعايا من خفيه فيبصر رعيته فقيرهم وغنيهم ودهرهم ليتفقد
احوالهم بخفيف السلطان وجوائح الزمان فيبقى اخذ بهم مع فساد
ملكه قال النبي عليه السلم كلكم راع وكلكم مسوول عن
رعيته وكتب امير المؤمنين عمر رضي الله عنه الى ابي موسى
الاشعري رحمه الله ان اسعد الرعاة من سعدت به رعيته واشقا هو
من شقوا به وانك ان ترتع يرتع عمالك فيكون مثلك مثل البهيمة
رات ارضا خضرة ونباتا حسنا فرتعت تطلب السمن وحتفها في سمنها ٦٧
وكتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يحمله على اخذ اموال السواد
فكتب اليه لا تكن على درهمك الماخوذ احرص منك على درهمك المتروك
وابق لهم لحوما يعقدون بها شحوما قال وهب بن منبه احسن
الناس عيشا من حسن عيش الناس في عيشه ه

فصل

وليهتم الملك كل الاهتمام بامر السبل والمسالك وتهذيب
الطرق والفلوات ليمشي الناس في مسالكهم امنين ويكونوا على
انفسهم واموالهم مطمئنين ولا يقتصر على حماية ما يشتمل من
بلاده وسواده فلم يستقم امر بلاد كانت المسالك اليها مخوفة لانها
يقتضيها المجلوب اليها بحمل مشقتها ليكون جلبهم فيما يليهم

وخصب بلادهم بالبشر عندهم فيكون نفعهم عميما وخصبهم
دارا ويصير رفق السلطان به اعظم من رفق رعيته وغناه
انفع من ملكته لانه ليس يعم صلاح الا ونصيبه منه اكثر
لان عوام الاموال صادرة اليه وصلاح الجمهور عايد عليه

فصل

ليستعمل الملك مداهنة الاعداء قبل مكاشفتهم وليجعل محاربتهم
اخر مكايدهم فانه ينفق في المكايد من الاموال وينفق في
المحاربة من النفوس ولذلك قيل اوهن الاعداء كيدا اظهرهم
بعداوته قال الشاعر

والسلم ياخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع

وليعلم انهم منه على ثلث مراتب لكل واحد منهم حكم فليكن مع من
علا منهم وتقدم على الملاطفة والملاينة ومع من دان منهم
وتاخر على التطاول والمباشرة ومع من كافأهم وماثل على
المشاركة والمسالمة ليدوم السكون والدعة ويتم له السلامة
والاستقامة فقد قال عمرو بن العلاء من عرف فضل من فوقه عرف
فضل من دونه فان جحد جحد ولا يبتدي بالمنافرة ما وجد منها بدا
واذا ظفر بفرصة انتهزها ما لم ينقض بينه وبينهم عهدا فقد

قيل في منثور الحكم انتهز الفرص عند امكانها وكل الامور الى اوليائها
ولا تحمل نفسك هم ما لم ياتك ولا تحزن على ما فاتك ولا تعدن وعدا
ليس في يدك وفاوه ولا تجد من الحرص ذا سرور واذا كان شفقة العدو
بعد المنافع ونافى بعد المسالمة وتكافات قوتهما كان الرجا
معتبرا بسيرتهما وهما فيها على ثلثة احوال احدها ان يكون الملك
اعدل من عدوه واحسن سيرة في رعيته فليثق الملك بعدله انه عونه
٦٨ ورعيته انفع انصاره وليستعن على عدوه بجوره فانه موهنه
وبرعيته فانهم خاذلوه ويكونوا اعوان الملك عليه ويقدموا على
مفارقته فان الرجا في ظفره اقوى ما لم يغلب قدر فقد
قيل في منثور الحكم العدل اقوى جيش والامن اهنى عيش
والحال الثانية ان يكون العدو اعدل من الملك واحسن
سيرة في رعيته فليخش على نفسه من عدل عدوه انه عونه ومن
رعيته انفع انصاره وليحذر بجور نفسه فانه موهنه ومن نكر
رعيته فانهم خاذلوه ويحجموا عن مفارقته فالرجا في ظفر عدوه
اقوى ما لم يغلب قدر ويدفعه بالمقاربة والحذر وقد قيل
في منثور الحكم من اعرض عن الحذر والاحتراس وبنا امره
على غير اساس زال عنه العز واستولى عليه العجز فصار من

يومه في نحس ومن غده في لبس والحال الثالثة ان يكون الملك
وعدوه متكافيين في العدل والسيرة فيعتبر امرهما بحال الزمان
والاعوان فان كان الزمان صالحا فاصلحهما اعوانا اقوى رجا للظفر
لان صلاح زمانهم مناسب لصلاحهم فكان عونا مالم يغلب قدر وان
كان الزمان فاسدا فافسدهما اعوانا اقوى رجا للظفر لان فساد
زمانهم مناسب لفسادهم فكان عونا لهم مالم يغلب قدر فيكون الاقدام
من الراجي والحذر من الخايف وان استوى الفريقان في الصلاح
والفساد اعتبر بالجد والهزل في الزمان والاعوان فان كان زمان
جد فالرجا لاهل الجد اقوى وان كان زمان هزل فالرجا لاهل
الهزل اقوى اعتبارا بمناسبة الزمان لاهله مالم يغلب قدر فان
استوى الفريقان في الجد والهزل فالبادي بالمنازعة بارع والباغي
مصروع مالم يغلب قدر قيل في منثور الحكم من سل سيف
البغي اغمده في راسه ومن اسس اساس السوء اسسه على نفسه
قال الشاعر
والبغي يصرع اهله والظلم مرتعه وخيم

فصل

وينبغي للملك وان كان بالملك مفضلا معظما وبالسلطان مطاعا

مقدما ان يسوي بين نفسه ورعيته في الحق لهم وعليهم
ولا يقدم شريفا على مشروف ولا يمايل قويا على ضعيف ويعدل
بين جميعهم في القضا ويجري الحكم على الخاصة والعامة بالسوا
فان الله تعالى قد سوى بين عباده من غير تفضيل وماثل فيه بين
العزيز والذليل فاذا اقتدى فيه بامره وقام فيه بحقه وانصف
به من نفسه وحسم مواد الظلم وكف عوادي الغلبة وتناصف
الناس اذا انصفوا رغبا ورهبا   وقد قيل في منثور الحكم من
جارت قضيته ضاعت رعيته   وسال ملك ناسكا عن الخلاص
فقال الناسك ثلث اعدل في الرعية واقسم بالسوية واعدد نفسك
واحدا من الرعية   وقال الوليد بن عبد الملك لابنه يا ابنه
ما السياسة   قال الهيبة الخاصة مع صدق محبتها واستمالة قلوب
العامة بالانصاف لها واحتمال هفوات الصنايع فان شكرها
اقرب الايدي لها وتتعهد حال الفقير منهم بالبر والصدقة
وتراعي حال الكريم منهم بالرفد والصلة فان احسانه الى الفقير
يشكره عليه الاغنيا فلقل شكره وقف على الشاكر الانعام به   ولعل
بزرجمهر بالمثل الاخطاه   كان الموبذان اذا دخل على انوشروان
يقول يا ملك استدم النعم بالعطف على الرعية   واهن طعامك

باشاعة الجائر ورائك وانصف الناس من نفسك واعط الحق
منك بمعاطاة الناس ورائك واحذر النسا ولا تفتح للسعاة اذنا

فصل

بالراعي تصلح الرعية وبالعدل تملك البرية وينبغي للملك
ان يميز اخيار رعيته فيخصهم بالاكرام والتقريب ويقمع اشرارهم
بالابعاد والتاديب ليرغبوا في منازل الاخيار ويتنزهوا عن
اخلاق العامة الاشرار فان لم يكونوا على الخير مطبوعين
صاروا به متطبعين فقد يضعف الطبع بالتطبع وان لم يزل ويتغير
الاخلاق بالصنع وان لم تحد فقد قيل ليس شي الطبع او يكون
ما ليس في التطبع وفرق ما بينهما ان الطبع جاذب منفعل
والتطبع مجذوب مفتعل يتفق تناجيهما مع التكلف ويفترق تباينهما
مع الاسترسال فيظهر الطبع ويزول التطبع ولعل بهذا الفرق
ينبغي ان يامن اهل الولاية والسلامة خوف عقوبة الكف
يزواجر طباعهم في الخير ويخاف اهل الشر والدعار بادرة سطوته
ليكون الخوف زاجرا لطباعهم عن الشر فيتشاكل المتفقين في
طلب الخير ونوع الشر طبعا وتطبعا فانه مندوب الى
صلاح الجميع وتقويم العوج

قال بعض الحكماء

انقياد الاخيار بحسن الرغبة وانقياد الاشرار بطول الرهبة
ووقع انوشروان الى عماله تفقدوا امور الرعية فسدوا فاقة
احرارها واشبعوا بطون اشرارها فانما يصول الكريم اذا جاع واللئيم
اذا شبع وقيل من ابطرته النعمة وقرب زوالها قال الشاعر
اذا كنت للناس في الارض سايسا فسوسوا كرام الناس بالحلم والبذل
وسوسوا لئام الناس بالذل وحل جميعا فان الذل اصلح للنذل
٧٠ ويراعي اهل النسك والصلاح يودي حق الله تعالى فيهم وحق
نفسه في مواقفهم بحل اقدارهم ويعظم اخطارهم لانهم اهل الاخرة
التي هي اشرف من الدنيا دارا واعز منها جوارا ليعرف لله حقوق
اوليائه وللدين حقوق رعاياه فان من الديانة اعظام اهل الدين
وان يرجع اليهم فيما امروا به ونهوا عنه وليصلح من دينه ما اختل
ومن دنياه ما اعتل فانهم لا يامرون الا بطاعته ولا ينهون الا عن
معصيته روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال استرشدوا
العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا وان يتقرب اليهم بطاعة
الله في خلقه والقيام فيهم بحقه ليكونوا له عونا وعلى اعدايه البا
يملك بهم القلوب ويستدفع بهم الخطوب فقد قيل لرسول الله عليه السلام

ان الرجل يعمل العمل لله تعالى ويحبه الناس فقال تلك عاجل البشرى
اذا اردتم ان تعلموا ما للعبد عند الله تعالى فانظروا ما يتبعه من
ثنا الناس ولا ينبغي ان يكون في همه ريا او سمعة فيحبطه
بها فيسير عن ذلك الى جمعه فان التظاهر بالصلاح احسن من التظاهر
بالطلاح وقد اعطا من الاجماد بظاهره سترا او استغنى به
في الباطن شطرا او ما يعيب وان هذا الطبع والطمع يغلب
احدهما على الاخر فتخم سترين بغوائم او يفضح علانيته فليفهم فان
ذلك ليس الرياء لا ينبغي حتى يبنى على الغاية من صلاح او افتتاح
كالمريض الذي يخفي مرضه في اسلامه او شطب فقد قيل من طمع
ان يذهب على الناس عيبه فقد جهل قال الشاعر
ومن يتبع ما ليس من خيم نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها
فليعمل على الظاهر لمن ظاهره بالصلاح فليس للناس من الناس
الا ظواهرهم ويتولى الله سرائرهم وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الناس كاسنان المشط وانما يتفاضلون
بالعافية فليعطوه حق علانيته وليكل سرائرهم الى الله فانها استغنى
عن احد امرين وقد روي عن النبي عليه السلام انه قال المتشبع
بما لا يملك كلابس ثوبي زور يعني المتظاهر بما ليس فيه كلابس

نوفي زور وهو الذي يلبس ثياب الصلحاء ويفعل افعال الطلحاء
روى ابو هريرة قال مر النبي عليه السلم على ناس وهم جلوس
فقال الا اخبركم بخيركم من شركم فسكتوا فقال ذلك ثلاث مرات
فقال له رجل بلى يا رسول الله فقال خيركم من يرجى خيره ويومن
شره وشركم من لا يرجى خيره ولا يومن شره   واما التعلم
فينبغي للملك ان يعرف فضله ويستبطن اهله لان للدين اركان
وللشرع اعوان والدين اس الملك ونظامه   وقد قاموا بحفظه
ونابوا عن الملك في حفظه ولولاهم لما عرف حق امر من باطله
ولا صحة حكم من فاسد فليحفظ الملك نظام ملكه بمراعاتهم وليظهر
لنبيه وملكه باستبطانهم ليكون بالعلم موسوما واليه منسوبا فان
الانسان موسوم بسيما من قارب ومنسوب اليه افعال من
صاحب   ولذلك قال النبي عليه السلم المرء على دين خليله فلينظر
احدكم من يخالل   وقال عليه السلم المرء مع من احب   وقالت الحكما
يظن بالمرء ما ظن بقرينه   وقد خص الملوك من هذا انما يناسبون
به من سواهم لخفا احوالهم عن الرعية فيقضون عليهم بما يعلمون من
احوال بطانتهم فان استبطن العلما قضوا عليهم بالعلم وان جهلوا
وان استبطنوا الجهال قضوا عليهم بالجهل وان علموا وليصير مكانهم

مستنطقاً او مذاكرتهم مستبصراً وهم انفع له في دينه ودنياه لانهم
في الدين دعاة وفي الدنيا هداة ومما ينشأ من الفساد باهمال
العلماء وترك مراعاتهم وذلك انهم اذا تعاطى بعضهم قلة المبالاة وضعف
الحال على سماحة النفس والبذل وارتكاب الشبهة فاذا وافق
ذلك اعراض السلطان عنهم خفت اثارهم عند العامة وتقاصرت
رتبهم عند الخاصة فهجروا اهل الاغنياء وزحموا اخر السفهاء سرى
ذلك في خواصهم وسفولهم وعم في خيارهم ومن دنيهم لان نفوس
الجنس يسري فيه فذهبت بهجة العلم وبهاوه وقل طلابه وعلماوه
وصار ذريعة الى التفاضل ودراسته ثم لا يبعد ان يظهر اقبل
قوم مبتدعة ومذاهب مخترعة يزخرفون كلامهم مموهاً ويخرجون
مذهباً مستوهاً الا ان ما صح من المذاهب فقد اعتقد وما سلم منها فقد اتبع
ولذلك قال النبي عليه السلم خير الامور عوازمها وشر الامور محدثاتها
فهم لا يستجيبون الا لما ابتدعوه ولا يبصرونه الا بما اخترعوه يعدلون
به عن ظاهر جلي الى باطن خفي يجلبون به قلوب الاغمار ويقتصرون
على نصرته بالعناية الا اشتباه فيتبعوهم وهم انهم قد ظهروا على الحق
بعد كمونه واوصلوهم الى ما استاثر الله به دونهم فيتبعوا اليهم
العدد المبتدع ويميل معهم الجاهل المتبع الى ان يكاثر جمعهم

في آرائهم كلامهم وعقولهم ولطف بانفسهم مع ان لكل جديد لذة ولكل مستحدث
صبوة وقد قال النبي عليه السلام ان من البيان لسحرا وان اخوف
ما اخاف على امتي منافق عليم اللسان فتصير البدع حينئذ فاشية
ومذاهب الحق واهية ثم تفضي الامور بهم الى التحزب ويؤول
الى التعصب لان لكل مذهب شعارا ولكل شعار انصارا ولكل انصار
صولة ولكل صولة دولة فاذا راوا ظهور شعارهم وكثرة انصارهم
داخلهم عز القوة ونخوة الكثرة فتظاهر جهال نساكهم وفسقة ٧٢
علمائهم بالميل الى مخالفيهم فاذا استتب ذلك لهم زاحموا السلطان
في رياسته وقبحوا عند العامة جميل سيرته فربما انفتق منه ما
لا يرتق فان كبار الامور تبدو اصغارا وقد روي عن النبي عليه السلام
انه قال اهلك امتي رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك وسئل
عن شرار الاشرار فقال شرار العلماء وقال امير المومنين علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه قصم ظهري رجلان ناسك جاهل يدعوا
الى الجهل بنسكه وعالم فاسق يدعوا الى الفسق بعلمه وقد قال
المنصور في عهده الى ابنه وكل همومك بامورك وتفقد الصغير
بعد الكبير وخذ اهبة الامر قبل حلوله فان لمن التواني الاضاعة
وكن عند راس امرك لا عند ذنبه فان المستقبل لامره سابق والمستدبر

له مسبوق   قال الشاعر

ان للدهر صولة فاحذرنها لا تبيتن قد امنت الدهورا

نشط بمن الفتى زيد بن منى وصغير الامور يجني الكبيرا

وهذا امر يجب على الملك مراعاته لما فيه من حراسة النفس
وحفظ المملكة   ومنها ذلك ان يراعي العلم واهله ويصرف
اليهم حظا من عنايته ويعتمد اهل الكفاية منهم والقريب المتانة
واهل الحاجة منهم بالبر والمعونة ليكون العلم به اشرف والدين يتوفر
عليه اكثر والناس له اشكر ففي ذلك بها الملك واعزاز النفس
وخلود الذكر   ومنها ان من اخلاق الشريعة ان يحل اهل السوية
ليكون المعروف من شيمه والمألوف من اخلاقه انه يجازي المحسن
بالاحسان اليه ليألف الناس الاحسان رغبة في الجزاء من غير
ان يجعل الجناية حدا ولصلته قدرا فان ذلك ابسط للامل فيه ولا
يعرف منه في المسيء شيمة مألوفة من عفو ولا عقوبة لان المسيء
ان عرف منه العفو اجترأ وان عرف منه العقوبة قنط والمستحق
منه واجتنبه ثم ما كان على رجاء من عفو يجري فيه وعقوبة فانه
كان ابلغ في تاديبه وصلحه فان راه للعفو اهلا عفا عنه قال
النبي عليه السلم عفو الملوك بقاء الملك   وان راه للعقوبة اهلا

مستحقا اوعقه ادباله لا غضبا عليه   قال انوشروان اني بلغت
هذه الرتبة بثمان خصال وذلك اني لم اهزل في امر ولا نهي قط
ولم اخلف في وعد ولا وعيد قط   ووليت للغنا لا للهوى   وعاقبت
للادب لا للغضب   واودعت قلوب الرعية سكة المحبة من غير
جراة ويوم الهيبة من غير ضغينة   وعممت بالقوت وحذفت
الفضول   وهذا ايضا سيرة سار بها ملك في سياسة ملكه
٧٣ وتهذيب دولته .   قال النعمن بن المنذر وهو ملك العرب

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها
ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها
الا ليعرف فضلها ويخاف شدة نكلها

ولا يبطل عفوه من لم يعلن بذنبه ويغفر الذنب السر عقوبة السر
والذنب العلانية عقوبة العلانية لان عقوبة الذنوب
بحسبها والمقابلة في الجزا معتبرة ليكون اشباهها
ولا يعاقب بالظن حتى يستيقن الذنب فان اكثر الظنون كاذبة
فان اجل بالعيب فيه فصفهما في غير حق وجبا على غير مستحق
فصار الذنب متوجها اليه واللوم عايدا عليه   قال الشاعر
اذا انت لم تسمح بظن وتقضي على الظن اردتك الظنون الكواذب

وليعلم الملك ان الذم في الظلم بقدر الحمد في العدل وان الزهد
في ولاية الظالم بقدر الرغبة في ولاية العادل وكل مذموم
ممقوت وكل محمود محبوب والممقوت مباعد والمحمود مستعز وما هما
بطرفيهما خيرا وشرا ويعقباهما نفعا وضرا وقد روي عن
النبي عليه السلام انه قال اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من
نفسه فينبغي للملك ان يختار لنفسه الرغبة في ايامه والحمد لسيرته
ليسلط الحمد على ملكه ويتكلم الدين على سلطانه

قال الشاعر

وما المرء الا حيث يجعل نفسه في صالح الاخلاق نفسك فاجعل

وليحسن الى رعيته احسانا من يرتقي خوف الله فيهم ويملك به خالص
قلوبهم فانه ان قدر على ملكه اجسادهم بسلطانه فليس يقدر
على ملكه قلوبهم الا باحسانه وقيل قلوب الرعية خزاين
ملكها فما اودعها من شي فليعلم انه فيها وقيل من خاف اساتك
اعتقد مساتك فان استقامت له ظواهر رعيته واقاموا على احكام
طاعته لم يفتش سرائرهم ولم يواخذهم بما يخفونه في ضمايرهم فان
ضماير القلوب لا يواخذها الا علام الغيوب ومتى تكلف ذلك
كدر ايامه وقلت ثقته ولم يقف على صحيحه من فاسده والتمس من

من

من الصفاء الخالص ما هو غني عنه واستفسد من قلوب الأعوان ما هو
حسن بنفسه وعدل عما يستنجح به السرائر من الإحسان إلى ما يستفسد
الظواهر من المناقشة   حكى البزرجمهر أن كسرى قباذ رفع إليه
رجل من أصحابه أن في بطانة الملك جماعة قد فسدت نياتهم وخبثت
ضمائرهم وقد هموا بما يفعلوه وهم عشرة مواثبة على الملك فوقّع
إنما أملك الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضا وأفحص
عن الأعمال لا عن السرائر   قال سليمان بن داود عليه السلام كما أن
الوجوه لا تشبه بعضها بعضا كذلك القلوب لا تشبه بعضها بعضا
لكن الملك بالظالم عسوفا وبالمظلوم رؤوفا لا يغلق عن المتظلمين
بابا ولا يضيق عليهم حجابا فإن في عوادي النفوس ما لا يكفه
إلا الحذر   ولا خير في ملك لا ينصف أهله فإن أهملوا
أدغوا وإن خافوا ارتدعوا فليوقظ عزمه في تصفح المظالم وانتصاف
المظلوم من الظالم ليكون آمرا بالعدل لما كان به مأمورا وزاجرا
عن الظلم لما كان عنه محذورا   فإن مراعاة المظالم من
قواعد السياسة في انتظام الملك ومصالح الرعايا   حكي أن بعض
الملوك ذهب سمعه فبكى وقال لم أبك من ذهابه إلا لأني لست
أسمع ظلامة المتظلم فأنصفه وقد صرت لا أسمعها وأنا أعتاض عن

ذلك بصيرتي وقد حرمت لباس الحمرة الا على متظلم لا علم بحاله
اذا رأيت لباسه فانصفه فلا خير في ملك لا ينصف الرعية ولا ينصف
به الرعية وسنّ اردشير بن بابك في ملكه وعمل به الكسرى
ولمن من بعده ان تجلس في يوم النيروز جلوسا عاما للخاصة
والعامة لتتقدم الخاصة للهيبة ويعقبهم العامة للمظالم
فاذا وصلت اليه رقاعهم جميعها وسبرها فان كان التظلم فيها من
غيره نظر فيه بنفسه واوصل المتظلم الى حقه وان كان المتظلم
منه قام مع خصمه وجثا بين يدي الموبذ وقال يا الموبذ انها من
ذنب اعظم عند الله من ذنوب الملوك وانما خولها الله تعالى برعاياها
لتدفع عنها الظلم وتذب عن بيضة الملك جور الجائرين وظلم الظالم
فاذا كانت هي الظالمة الجائرة فحق لمن دونها ان يجور ويظلم
ومجلسي هذا منك وانا عبد ذليل بين يديه فليسأل من الله تعالى ان
دم غدا فان آثرت الله تعالى ازلفك وان آثرت الملك عذبك فيقول
له الموبذ ان الله تعالى اذا اراد سعادة عباده اختار لهم خير اهل
ارضه واجرى على لسانه ما اجرى على لسانك ثم ينظر في امره
مع خصومه بالحق والعدل فان صح على الملك شيء اخذ بأدائه والا
وكل من ادعى عليه باطلا ونادى عليه هذا جزاء من اراد شين

الملك عند الجميع والصلح بينهما بالسلطان يوم اردشير رحمه الله
فلما كان يوم يضع التاج على راسه ويقول لامرائه وخاصته اني لم
ابن شيئا اصنعه منها الا لان لا يطمع احد في جنبها فمن كان
فيلهمه الخروج الى حضرته منه فهذه سيرة اتفاقها بالعقل
وبعضها فيها بالسياسة من كان الله يعلي امره والوعيد
وانه ليس من دابه فعل الخير اما ابتدا من نفسه او اقتدا بالاخيار
ليكون في الخير ثابتا ومتبوعا وفي العمل به حامدا او محمودا ٧٥
وقد قيل الناس في الخير على اربعة اقسام منهم من يفعله ابتدا
ومنهم من يفعله اقتدا ومنهم من يتركه حرمانا ومنهم من يتركه استحسانا
فمن يفعله ابتدا فهو كريم ومن يفعله اقتدا فهو حكيم ومن يتركه حرمانا
فهو شقي ومن يتركه استحسانا فهو دني لكن ما احلى بالملك
من جميل الذكر وحسن السيرة اما ما يقتدي به الاخيار ومتى كان
يرجى به الاستمرار فيكون بالحمد مذكورا وعلى الخير مشكورا فان
اسقط بعد رشاده وسلك بعد صلاحه فسقط بعمله حسن
ومعتمدا وصار لغيره ماجورا ومحمودا فالتي الكل اليس
ذخاير يوم معاده وانفع ما يغنمه لمن اقتدى به الخير
الناس انفعهم للناس انه الله عز وجل يوفقه وتلهم

وتكفل بمعونته وتيسيره وكان له على الخير ظهيرا مرشدا

وعلى العدل معينا مسعدا

وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

تم الكتاب

والحمد لله رب العالمين وصلواته على

سيدنا محمد النبي وآله وسلامه